# كلا

# ومقاماتها القرآنية

## نظرة بلاغية

أ ٠ د/ رفعت إسماعيل السيد السودانى

## مقـــدمة

الحمد لله رب العالمين ـ والصلاة والســـلام على أشرف المرسلين ٠٠٠ أما بعد

فهذا بحث بعنوان « كلا ومقاماتها القرآنية نظرة بلاغية، أردت منه أن ألقى الضوء على « كلا » ومقاماتها القرآنية من خلال منظور بلاغى وألفت النظار إلى أن ماقيل عنها من معان إنما هو وثيق الصلة بالبحث البلاغى وخصائص النظم ٠

وقد تناولت البحث على النحو الآتى :

أولا : التمهيد : تنـــاولت فيـــه « كلا » بين البســـاطة والتركيب ومعانيها فى الأسلوب ٠٠

ثانيا : مقاماتها القرآنية . فذكرت مواضعها فى القرآن الكريم وهى محصـــورة فى ثلاثة وثلاثين موضـــعا كلها فى النصف الأخير من القرآن الكريم من سورة مريم إلى سورة الهمزة وفى آيات العهد المكى دون العهـــد المدنى وأكدت على قرب ماقاله علماء القراءات للبلاغة وصلة التجويد بها ٠ ونظرا إلى كثرة الآراء التى قيلت فى « كلا » واختلاف العلماء حولها اخترت مارآه مـــكى بن أبى طالب القيسى لأهمية دراســـته المتكاملة عن « كلا » ونظرته العلمية الناتجة عن دراسة وتأمل أقوال العلماء واستخلاص مايستحسن وما يستجاد منها ٠

وحصرت مقاماتها القرآنية فى أربعة مقامات هى :

١ ـ مقام الردع والزجر والرد فى ثلاثة عشر موضعا

٢ ـ مقام التنبيه والإستفتاح فى ستة مواضع ٠

٣ ـ مقام التحقيق لما بعدها فى ثمانية مواضع مع ذكر أربعة مواضع يستوى فيها مقاما التنبيه والاستفتاح والتحقيق ٠

٤ ـ مقام التابع فى موضعين ٠

وأوضحت تلك المقامات وتناولت مواضعها فأبرزت فيها معنى « كلا » وقيمتها فى هذه الأساليب وحالت بإيجاز أجزاء النظم بما يسمح به المقام أملا فى كشف أسرار النظم القرآنى ودلائل إعجازه ٠

ثم ختمت تلك المقامات بذكر تعقيب أكدت فيه على قيمة « كلا » فى مقاماتها القرآنية وأشرت إلى بعض الملامح العامة التى تشترك فيها أساليب « كلا » كالإيجاز والتأكيد والاستئناف البيانى وأهدف من وراء ذلك أن أؤكد أن « كلا » تحمل ثراء فى المعنى بحيث اتسعت لكل الأفهام بلا حرج أو قصور وهذا من عظمة الإعجاز فى اللفظ القرآنى وأن النظر فيما يحسن ويستجاد ويكون أبلغ فى المعنى وأتم هو من أولى مهمات الباحث البلاغى ٠

مستعينا بالله تعالى راجيا منه تعالى التوفيق والسداد وهو حسبى ونعم الوكيل ٠

أ٠د٠ رفعت اسماعيل السيد السودانى

## تمهيـــد

### لفظ « كلا » من حيث البساطة والتركيب

هى عند الجمهور حرف من الحروف الهوامل غير العاملة حرف رباءى محض بسيط غير مركب وعند ثعلب : أنها مركبة من « كاف » التشبيه و « لا » النانية وشددت اللام لتقوية المعنى فتفيد الوعيد والزجر بقوة لأن زيادة الحروف تدل على زيادة المعنى وأيضا لدفع توهم بقاء معنى الكلمتين : التشبيه والنفى لأن تغير لفظ الكلمة دليل على تغير معناها ٠

وعند ابن العريف : أنها مركبة من « كل » و « لا » وهذا رأى ضعيف لأن « كل » لم يأت لهـا معنى فى الحـروف فلا سبيل إلى ادعاء التركيب من أجل « لا »

ونحن نؤيد رأى الغالبية القـائل ببسـاطتها لأن القول بتركيبها غير صائب كما قرر ذلك ابن فارس ٠

### معناها فى الأسلوب :

للعلمـاء فى معنى « كلا » كلام كثير نقف على أهيتـه وأشهره الآتى :

١ ــ عنـد سيبـويه والخليـل والمبرد والزجاج وأكثر البصريين أنها حرف معناه الردع والزجر والرد(١) ومثال

---

(١) الردع : الكف عن الشىء ٠ والزجر : المنع والانتهـار والرد : صرف الشىء ورجعه ٠ ورده عن الأمر : صرفه عنه برفق ورد عليه الشىء: اذا لم يقبله واذا خطأه ٠ وهذه كلها معان متقاربة ٠ أنظر لسان العـرب مواد ردع وزجر ورد

ذلك : تقول لشخص : فلان يبغضك فيقول : كلا . ردعا لك أى ليس الأمر كما تقول فتكون بمعنى « لا » وتفيد الرد والإنكار لما تقدم قبلها من الكلام وتدل على جملة محذوفة فيها نفى لما قبلها والتقدير : ليس الأمر كذلك .

وهى على هذا حرف دال على هذا المعنى ولا موضع لها من الإعراب ولا تستعمل عند حذاق النحويين بهذا المعنى إلا فى الوقف عليها فتكون زجرا وردا وإنكارا لما قبلها .

وقيل : الأحسن أن يقال : إنها للزجر عما قبلها وما بعدها أو ماعهد من المخاطب وإن لم يفده الكلام .

٢ — قال الكسائى وتابعوه من الكوفيين أنها تكون بمعنى « حقا » وحينئذ فلا يجوز الوقف عليها لأنها من تمام ما بعدها ، ويجوز أن يقال : إن « كلا » إذا كانت بمعنى «حقا» أن تكون اسما بنيت لكون لفظها كلفظ الحرفية ومناسبة معناها لمعناها لأنك تردع المخاطب عما يقوله تحقيقا لضده . لكن النحاة حكموا بحرفيتها إذا كانت بمعنى « حقا » أيضا لما فهموا من أن المقصود تحقيق الجملة كالمقصود بـ « إن » فلم يخرجها ذلك عن الحرفية .

يقول مكى بن أبى طالب : « وتكون « كلا » بمعنى «حقا» — وهو مذهب الكسائى — فيبتدأ بها للتأكيد ما بعدها فتكون فى موضع مصدر ويكون موضعها نصبا على المصدر والعامل محذوف والتقدير : أحق ذاك حقا ولا تستعمل بهذا المعنى

عند حذاق النحويين إلا إذا ابتدىء بها لتأكيد ما بعدها . وقد يبتدأ بها ولا يجوز أن تكون بمعنى « حقا لعلة ...(٢)»

والعلة تتركز فى أنه لا يجوز أن تكون « كلا » بمعنى « حقا » إذا بدئت الجملة الواقعة بعدها بـ « إن » مكسورة الهمزة لأنها لا تكسر بعد « حقا » ولا بعد ما كان بمعناها مثل « كلا » التى نتحدث عنها ... ولأن تفسير حرف بحرف أولى من تفسير حرف باسم .

٣ - قال أبو حاتم السجستانى إنها تكون بمعنى « ألا » الاستفتاحية فيؤتى بها لإستفتاح الكلام لا غير وهى على هذا حرف لاستفتاح الكلام تفيد التنبيه .

واستدل على ذلك أن جبريل عليه السلام أول شىء نزل به من القرآن خمس آيات من أول سورة العلق مكتوبة فى نمط ملقنها النبى - ﷺ - آية آية وتكلم بها النبى - ﷺ - كما لقنه جبريل عليه السلام .

فلما قال : « علم الانسان مالم يعلم » طوى النمط وهو وقف صحيح (٣) » ثم نزل بعد ذلك « كلا إن الانسان ليطغى » إلى آخر السورة فدل بذلك على أن الإبتداء بـ « كلا » من طريق الوحى .

فهى عند أبى حاتم فى الإبتداء بمعنى مد « ألا » . ولا تستعمل إلا فى الإبتداء بها .

---

(٢) شرح كلا وبلى ونعم والوقف على كل واحدة منهن فى كتاب الله عز وجل لأبى محمد مكى بن أبى طالب القيسى تحقيق د. أحمد حسن فرحات ٢٤ ، ٢٥ - دار المأمون للتراث - دمشق وبيروت ط أولى سنة ١٩٨٢م

(٣) شرح كلا ٢٦

ملاحظة : قد يجتمع جواز المعنيين فى « كلا » فى الإبتداء بها أى بمعنى « حقا » وبمعنى « ألا » وقد ينفرد أحدهما بها ٠

إذن قد حصل لـ « كلا » ثلاثة معان : النفى فى الوقف عليها و « ألا » و « حقا » فى الإبتداء بها يقول مكى عن هذه المعانى الثلاثة : « فهذا الذى ذكرنا هو الذى عليه أهل المعانى من النحويين والحذاق من القراء وهو الإختيار عندنا وبه آخذ » (٤) ٠

٤ ـ عند النضر بن شميل والفراء ومن وافقهما أنها حرف جواب بمنزلة « إى » و « نعم » معنى واستعمالا وحملوا عليه قوله تعالى : « كلا والقمر » فقالوا : معناه : إى والقمر (٥) ٠

---

(٤) المرجع السابق نفسه ١٧

(٥) أنظر « كلا » فى مغنى اللبيب لابن هشام مع حاشية الدسوقى ١/٢٠٠ ـ ٢٠٣ مطبعة المشهد الحسينى ط ١٣٨٦ هـ والجنى الدانى فى حروف المعانى للحسن بن قاسم المرادى تحقيق د٠ فخر الدين قباوة والاستاذ محمد نديم فاضل ٥٧٧ ـ ٥٧٩ منشورات دار الآفاق الجديدة ـ بيروت ط ثانية ١٩٨٣ م

، ومعانى الحروف للرمانى تحقيق د٠ عبد الفتاح اسماعيل شلبى ١٢٢ دار الشروق ـ جدة ـ ط ثانية ١٩٨١ م

ومقالة « كلا » وما جاء منها فى كتاب الله لابن فارس ـ تصحيح عبد العزيز الميمنى الراجكوتى ٨ ـ ١٠ ضمن مجموعة ـ نشر قصى محب الدين الخطيب ـ المكتبة السلفية ـ القاهرة ط ١٣٨٧ هـ

وشرح الكافية فى النحو لرضى الدين ٢/٤٠٠ ـ ٤٠١ دار الكتب العلمية ـ بيروت ط ثالثة ١٩٨٢ م

، والبرهان فى علوم القرآن للزركشى تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ٤/٣١٣ ـ ٣١٦ دار المعرفة ـ بيروت ط ثانية

والاتقان فى علوم القرآن للسيوطى تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ٢/٢٦١ ـ ٢٦٣ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤ م

ورصف المبانى فى شرح حروف المعانى للمالقى تحقيق د٠ محمد الخراط ٢٨٧ ، ٢٨٨ دار القلم ـ دمشق ـ بيروت ط ثانية ١٩٨٦ م

## مقاماتها القـــرآنيـــة

من خلال الحديث عن معانى « كلا » تتضح لك مقاماتها القرآنية التى نتناولها تفصيـــلا على هـــذه الصفحات فلفظ « كلا » ورد فى القرآن الكريم فى ثلاثة وثلاثين موضعا فى خمس عشرة سورة من سور القرآن الكريم الآتية :

فى سورة مريم موضعان : « أم اتخذ عند الرحمن عهدا كلا ( الآيتان ٧٨ ، ٧٩ ) ، « ليكونوا لهم عزا كلا » ( الآيتـــان ٨١ ، ٨٢ ) وفى سورة المؤمنون موضع : « لعلى أعمل صـــالحا فيما تركت كلا » ( الآية ١٠٠ )

وفى سورة الشعراء موضـــعان : « فأخاف أن يقتلون كلا ( الآيتان ١٤ ، ١٥ ) ، « قال أصحاب موسى إنا لمدركون قال كلا» ( الآيتان ٦١ ، ٦٢ ) .

وفى سورة سبأ موضع : « قل أرونى الذين ألحقتم به شركاء كلا » الآية ٢٧ )

وفى سورة المعارج موضعان : « ومن فى الأرض جميعا ثم تنجيه كلا » الآيتان ١٤ ، ١٥ )

« أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم كلا » الآيتان ٣٨ ، ٣٩ )

وفى سورة المدثر أربعة مواضع : « ثم يطمع أن أزيد كلا» ( الآيتان ١٥ ، ١٦ ) ، « وما هى إلا ذكرى للبشر كلا والقمر » ( آية ٣١ )« بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفا منشرة

كلا بل لاتخافون الآخرة » ( الآيتان ٥٢ ، ٥٣ ) ، « كلا إنـــه تذكرة» ( آية ٥٤ )

وفى سورة القيامة ثلاثة مواضع : « يقول الإنسان يومئذ أين المفر كلا » ( الآيتان ١٠ ، ١١ )

« ثم إن علينا بيانه كلا بل تحبون » (الآيتان ١٩ ، ٢٠)، « تظن أن يفعل بها فاقرة كلا إذا بلغت » ( الآيتان ٢٥ ، ٢٦ )

وفى سورة النبأ موضعان : « الذى هم فيه مختلفون كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون » ( الآيتان ٤ ، ٥ )

وفى سورة عبس موضعان : « فأنت عنه تلهى كلا إنها » ( الآيتان ١٠ ، ١١ ) ، « ثم إذا شاء أنشره كلا لما يقض ما أمره» ( الآيتان ٢٢ ، ٢٣ ) .

وفى سورة الإنفطار موضع : « فى أى صورة ما شاء ركبك كلا بل تكذبون ... » ( الآيتان ٨ ، ٩ )

وفى سورة المطففين أربعة مواضع : «يوم يقوم الناس لرب العالمين كلا » ( الآيتان ٦ ، ٧ ) ، « قال أساطير الأولين كلا » ( الآيتان ١٣ ، ١٤ ) ، « ماكانوا يكسبون كلا إنهم » ( الآيتان ١٤ ، ١٥ ) ، « ثم يقـال هـذا الذى كنتم به تكذبون كلا » ( الآيتان ١٧ ، ١٨ )

وفى سورة الفجر موضعان : « فيقول « رب أهانن كلا » (الآيتان ١٦ ، ١٧) ، «وتحبون المال حبا جما كلا» (الآيتان ٢٠ . ٢١ )

وفى سورة العلق ثلاثة مواضع : « علم الانسان مالم كلا

( الآيتان ٥ ، ٦ ) ، «« ألم يعلم بأن الله يرى كلا » ( الآيتان ١٤ ، ١٥ ، « سندع الزبانية كلا » ( الآيتان ١٨ ، ١٩ )

وفى سورة التكاثر ثلاثة مواضع : « حتى زرتم المقابر كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون علم اليقين ( الآيات ٢ ـ ٥ )

وفى سورة الحطمة موضع : « يحسب أن ماله أخلده كلا» ( الآيتان ٣ ، ٤ )

فهذه ثلاثة وثلاثون موضعا للفظ « كلا » فى القرآن الكريم تتضمنها خمس عشرة سورة وليس فى النصف الأول من القرآن الكريم منها شيء وعللوا ذلك بأن نصف القرآن الأخير نزل أكثره بمكة وأكثر أهلها جبابرة فتكررت هذه الكلمة على وجه التهديد والتعنيف لهم والإنكار عليهم » (٦)

والحديث عن « كلا » عند علماء القراءات من ناحية أحكام الوقف والابتداء وما يرتبط بهما من معان

واقترن الوقف على « كلا » بمعنى الرد والزجر والردع واقترن الابتداء بـ « كلا » بمعنى الإستفتاح والتنبيه أى بمعنى « ألا » أو بمعنى التحقيق لما بعدها من قضايا أى بمعنى « حقا » عند عدم المانع .

وكلام علماء القراءات حول « كلا » كثير ولذا عقدوا لها بابا خاصا غير ماذكر فى مواضعها فى القرآن الكريم من أحكام مما يدل على أهميتها وما توحى به من معان وما

---

(٦) الجنى الدانى ٥٧٨ وانظر مناقشة هذا الكلام فى المغنى مع حاشية الدسوقى ١/ ٢٠٠ .

ترسمه من دلالات نبعة من سياق النظم الذى اشتملت عليه وقفا أو ابتداء .

وعلماء القراءات فى كلامهم عن « كلا » أقرب إلى البلاغة لأنه يتعلق بالنظم وما توحى به أجزاؤه من دلالات ولا غرو فى ذلك فالوقف والإبتداء هو أصل موضوع الفصل والوصل ومصدر إلهام البلاغيين فى تأصيل قواعده(٧) بل التجويد بقواعده وسيلة صوتية يتحقق بها مفهوم البلاغة المصطلح عليها عند البلاغيين . فهو فى حقيقته أداء صوتى بصفات معلومة تخدم المعنى فتبرزه وتؤكده وتجعله مسلسلا منتظما وتتحقق به مطابقة الكلام لمقتضى الحال .

والهدف منه تحقيق الغاية من التأثير والجذب للسامعين والمخاطبين »(٨) .

وأحب أن ألفت نظرك إلى مايلى :

١ - جميع ما ذكر حول « كلا » وقع فيه اختلاف كثير بين العلماء(٩)

٢ - اخترت مارآه مكى بن أبى طالب لأن رأيه - كما يقول - هو الرأى المختار وعليه علل القراء وبكل حرف فيه قال به جماعة من العلماء واختاره كثير من القراء وأنه رأى متوسط فى القول نتيجة الإجتهاد والتمحيص

---

(٧) انظر ( بلى ) مواقعها فى القرآن الكريم وخصائصها البلاغية للمؤلف ، علاقة الوقف والأبتداء بالفصل والوصل ١٤٧ - ١٥٦ مطبعة الأمانة ط أولى ١٩٩١ م

(٨) البلاغة الصوتية فى القرآن الكريم د. محمد ابراهيم شادى ١١ ، ١٢ مطبعة الرسالة ط . اولى ١٩٨٨ م

(٩) شرح كلا ٦٧

يقول محقق الكتاب الدكتور أحمد حسن فرحات: «يعتبر كتاب مكى من المصادر فى هذا الموضوع ولقد استفاد منه الذين جاءوا من بعده ونرى ذلك عند كل الذين كتبوا فى « كلا » أو تعرضوا لها من العلماء والمفسرين والنحويين بل إننا نجد عبارات ابن هشام فى المغنى هى نفس عبارات مكى فى كتابه كذلك نجد الزركشى ...» ويمتاز كتابه عن « كلا » بسعته وشموله ووضوحه(١٠) . ويتضح أن مذهبه فى « كلا » أليق بمذهب القراء وحذاق أهل النظار وما عليه حذاق النحويين وأهل المعانى(١١) .

٣ ـ من أجاز الوقف عليها فى كل موضع فلا يمنع شيئا من ذلك وعليه تكون دائما للرد والردع والزجر كما هو مذهب الخليل وسيبويه والأخفش والمبرد والزجاج وأكثر البصريين

٤ ـ يجوز أن تصلها بما قبلها وبما بعدها فتتعداها إلى تمام آخر ولا تبتدىء بها ولا تقف عليها

وبناء على ذلك أستطيع أن أحدد مقامات « كلا » فى القرآن الكريم فى أربعة مقامات وأغراضها على النحو الآتى :

## أولا : مقام الرد والزجر والردع

يحسن مقام الردع والزجر والرد فى ثلاثة عشرة موضعا لـ « كلا » فى القرآن الكريم هى مايلى :

موضعان فى مريم ، قوله تعالى : « أم اتخذ عند الرحمن عهدا « كلا » ( الآيتان ٧٨ ، ٧٩ )

---

(١٠) المرجع السابق نفسه ٨

(١١) المرجع السابق نفسه ٢٢ ، ٢٧

وقوله تعالى : « ليكونوا لهم عزا كلا » الآيتان ٨١-٨٢ )

وموضع فى المؤمنون ، قوله تعالى : « قال رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت كلا » ( الآيتان ٩٩ ، ١٠٠ )

وموضعان فى الشعراء قوله تعالى : « ولهم على ذنب فأخاف أن يقتلون قال كلا » ( الآيتان ١٤ ، ١٥ ) .

وقوله تعلى : « فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون قال كلا » ( الآيتان ٦١ ، ٦٢ )

وموضع فى سبأ قوله تعالى : « قل يجمع بيننا ربنا بالحق وهو الفتاح العليم قل أرونى الذين ألحقتم به شركاء كلا » ( الآيتان ٢٦ ، ٢٧ )

وموضعان فى المعارج قوله تعالى : « ومن فى الأرض جميعا ثم ينجيه كلا » ( الآيتان ١٤ ، ١٥ ) .

وقوله تعالى : « أيطمع كل امرىء منهم أن يدخل جنة نعيم كلا » ( الآيتان ٣٨ ، ٣٩ )

وموضعان فى المدثر قوله تعالى : « ثم يطمع أن أزيد كلا » ( الآيتان ١٥ ، ١٦ ) .

وقوله تعالى : « بل يريد كل امرىء منهم أن يؤتى صحفا منشرة كلا » ( الآيتان ٥٢ ، ٥٣ )

وموضع فى المطففين قوله تعالى : « قال أساطير الأولين كلا » ( الآيتان ١٣ ، ١٤ )

وموضع فى الفجر قوله تعالى : « فيقول ربى أهانن كلا» ( الآيتان ١٦ ، ١٧ )

وموضع فى الحطمة قوله تعالى : « يحسب أن ماله أخلده كلا » ( الآيتان ٣ ، ٤ )

**ثانيا : مقام التنبيه والإستفتاح •**

يحسن مقام الإستفتاح والتنبيه أى تكون « كلا » فى مقام « ألا » الاستفتاحية فى ستة مواضع : موضع فى المدثر قوله تعالى : « كلا إنه تذكرة » ( الآية : ٥٣ )

وموضع فى عبس قوله تعالى : « كلا إنها تذكرة » الآية : ١١ )

وثلاثة مواضع فى المطففين قوله تعالى : « كلا إن كتاب الفجار لفى سجين » ( الآية . ٧ )

وقوله تعالى : « كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون » ( الآية : ١٥ )

وقوله تعالى : « كلا إن كتاب الأبرار لفى عليين » ( الآية ١٨ ) •

وموضع فى سورة العلق قوله تعالى : « كلا إن الانسان ليطغى » ( الآية ٦ )

## ثالثا : مقام التحقيق لا بعدها

يحسن مقام التحقيق لا بعد « كلا » أى : تكون بمعنى « حقا » فى ثمانية مواضع :

ثلاثة مواضع فى القيامة قوله تعالى : « كلا بل تحبون العاجلة » ( الآية : ٢٠ )

وقوله تعالى : « كلا إذا بلغت التراقى » ( الآية : ٢٦ ) .

وقوله تعالى : « كلا لاوزر » ( الآية ١١ )

وموضع فى النبأ قوله تعالى : « كلا سيعلمون » ( الآية: ٤ )

وموضع فى الانفطار قوله تعالى : « كلا بل تكذبون بالدين ( الآية : ٩ )

وموضعان فى العلق قوله تعالى : « كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية » ( الآية : ١٥ )

وقوله تعالى : « كلا لاتطعه واسجد واقترب » ( الآية:١٩)

وموضع فى التكاثر قوله تعالى : « كلا سوف تعلمون » ( الآية : ٣ )

ملاحظة : يستوى مقام الإستفتاح ومقام التحقيق فى أربعة مواضع :

موضع فى المدثر قوله تعالى : « كلا والقمر » ( الآية:٣٢)

وموضع فى عبس قوله تعالى : « كلا لما يقض ماأمره » ( الآية : ٢٣ )

وموضع فى الفجر قوله تعالى : « كلا إذا دكت الأرض دكا دكا » الآية : ٢١ .

وموضع فى التكاثر قوله تعالى : « كلا لو تعلمون علم اليقين » ( الآية : ٥ ) .

**رابعا : مقام التابع « المعطوف » :**

ويأتى مقام التابع أى كونها معطوفة بـ « ثم » على مثلها وذلك فى موضعين :

موضع فى النبأ قوله تعالى : « ثم كلا سيعلمون » ( الآية: ٥ ) .

وموضع فى التكاثر قوله تعالى : « ثم كلا سوف تعلمون» ( الآية : ٤ ) .

**يقول بعضهم :**

ثلاثون كلا أتبعت بثلاثة
جميع الذى فى الذكر منها تنزلا
ومجموعها فى خمس عشرة سورة
ولاسىء منها جاء فى النصف أولا

إلى أن قال :

وعند إمام النحو فى فرقة سموا
عليها يكون الوقف فيما تحصلا

وليس لها معنى سوى الردع عندهم
وإن أوهمت شيئا سواه تؤولا

وقال سواهم إنما الردع غالب
وتأتى لمعنى غير ذاك محصلا

كحقا ومعنى سوف فى نادر أتت
ومثل نعم أيضا ومشبهة ألا

فقف إن أتت للردع وابدأ بها
أتت لسوى هذا على ماتفصلا

ومهما عليه كان وقفك دائما
تجد سندا من سيبويه ومعقلا(١٢)

فهذه مقامات « كلا » فى القرآن الكريم بناء على مااخترنا من الاستحسان لا الوجوب أعرضها تفصيلا فى محاولة لاستكشاف أسرار النظم القرآنى والوقوف على دلائل إعجازه والله المستعان

---

(١٢) الفتوحات الالهية للجمل ١/ ٤ ط عيسى البابى الحلبى

## المقام الأول : مقام الردع والزجر والرد

مما سبق يتضح لك أن هذا المقـام هو الأصل فى « كلا » وهو المتبادر إلى الذهن حتى قال به سيبويه والخليل والمبرد والزجاج وأكثر البصريين ولا تخرج عن معنى الزجر والرد والردع وما ورد فى مقـامى التنبيه والإستفتـاح والتحقيق يلتمس المعنى المردود من الكلام السابق وبذا قرروا الوقوف عليها فى جميع القرآن وأنها خاصة بالقـرآن المكى ـ كمـا سبق ـ

وأصل « كلا » لإفادة الردع والزجر ويكون المعنى : انته ولا تفعل كذا ، وإفادتها الرد والنفى ضمنا، والنفى الضمنى أبلغ وأوقع فى النفس من النفى الصريح ، ولـكن ماالنفى الضمنى ؟

النفى الصريح لايكون عادة إلا بأداة تشعر بهذا النفى وأدواته كثيرة ومعروفة مثل : «ما»و«لا»و«لن» فإذا خلا الكلام من أداة نفى وعبر مع هذا عن النفى عد مثل هذا نفيا ضمنيا كما فى بعض أساليب التمنى والاستفهام الإنكارى والشرط بـ «لو» التى نلحظ فيهـا نوعا من النفى الضمنى الخـالى عن أداة خاصـة(١٣) . والنحـاة لم يهتمـوا بالنفى الضـمنى لأن إهتمامهم كان متوجها الى معرفة أدوات الإعراب دون أن تمتد إلى الأسلوب فى ذاته . والنفى الضمنى قد تدل عليه كلمة فى سياق ما ولا تدل عليه الكلمـة نفسـها أو مشتقاتها فى سياق آخر وقد يفهم النفى ضمنـا من الأسـلوب أو النغم الصادر من المتحدث دون أن يعبر عنه بكلمة بعينها . وترجع

---

(١٣) من أسرار اللغة د. ابراهيم أنيس ١٧٨ مكتبة الانجلو المصرية ط سادسة ١٩٧٨ م

قيمة النفى الضمنى إلى الإيجاز الذى يغنى عن الكثير لأن النفى الضمنى يدل على فحوى متضمنة قد يحتاج التصريح بها إلى كلام كثير قد يؤثر على نضوج الفكرة .

والنفى الضمنى ليس هو عكس كلمة تقال فحسب لأن ذلك باب لا ينغلق وليس فيه طرافة لباحث ولأن ضد الكلمة ليس هـــو المعبر عن المعنى بدقة لاسيمـا فى الأســـاليب الرفيعة(١٤)

والنفى الضمنى قد تناوله البلاغيون حين تحـدثوا عن إفادة « إنما » للقصر وبخاصة الإمام عبد القـاهر الجرجانى فى كتابه دلائل الإعجاز . فـ « إنما » تدل على إثبات لما يذكر بعدها ونفى لما عداه وهذا النفى جاء ضمنا لأنه ليس له أداة خاصة به(١٥) .

و « كلا » أداة للردع أفادت النفى ضمنا باعتبارها عند الوقف عليها ـ ردا لما قبلهـا أو عدولا عما قبلهـا وإثبـاتا لمـا بعدها .وهى آكد فى النفى لزيادة مبناها بالكاف وتشديد اللام ولذا تأتى لنفى الأمر المحقق فتكون جواب فعل ماض مسبوق بـ « قد » مثلا فالنفى مؤكد وكأنه محقق . والذى يدل على قوة رد ماقبلها أنها لم ترد إلا فى الآيات المكية وحدها لأن عتـو المشركين وتجبرهم كانا بها . ويكون المعنى : لا ليس الأمر كذلك ..(١٦) ومثال ذلك : كأن يقول لك قائل : أكلت تمرا ؟

---

(١٤) أساليب النفى فى القرآن د. أحمد ماهر البقرى ١٣٧ ، ١٣٨ دار المعارف ط ثانية ١٩٨٤ م

(١٥) انظر دلائل الاعجاز تعليق الشيخ محمود شاكر ٣٥١ ـ ٣٥٨ مكتبة الخانجى

(١٦) أساليب النفى فى القرآن ١٨٤ ـ ١٩٢

فنقول : كلا آى : إنى لم آكله ، فقولك : كلا مبنى على أنه قد ذكره غيرك ونفيته أنت(١٧) .

والزجر الذى تفيده « كلا » قيل : إنه عما قبلها فقط . وقيل : إنه يمكن توسيع الدائرة فيقال : إن « كلا » قد تفيد الزجر عما قبلها أو ماعهد من الخاطب وإن لم يفده الكلام ولم تأت للزجر عما بعدها إلا ضمنا إذ الأصل أنها لنفى ماقبلها لأن مابعدها عادة إنما هو سبب الرفض أو الزجر ويكون مسبوقا بـ « بل » أحيانا (١٨) .

وإليك مواضع « كلا » التى يحسن فيها مقام الردع وبالتالى يكون الوقف عليها أبلغ فى المعنى وأتم على النحو الآتى :

الموضع الأول فى سورة مريم قوله تعالى : « أفرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا .

أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا . كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا . ونرثه ما يقول ويأتينا فردا » (١٩) .

سبب نزول قوله تعالى : « أفرأيت الذى كفر بآياتنا .. » ما أخرجه الشيخان وغيرهما عن خباب بن الأرت قال : جئت العاص بن وائل السهمى أتقاضاه حقا لى عنده فقال : لا أعطيك حتى تكفر بمحمد فقلت : لا حتى تموت وحتى تبعث قال : فإنى لميت ثم لمبعوث ؟ فقلت : نعم فقال : إن هناك مالا وولدا

---

(١٧) مقالة كلا لابن فارس ١٠

(١٨) مغنى اللبيب مع حاشية الدسوقى ١/٢٠٠ ، ٢٠١ واساليب النفى فى القرآن ١٨٩ .

(١٩) الآيات ٧٧ ـ ٨٠ .

فأقضيك فنزلت : « أفرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا » وهذا هو المشهور .

فمراد العاص بن وائل من قوله هذا إما الاستهزاء بالدين وبخباب بن الأرت - رضى الله عنه - وإما أنه زعم أنه يؤتى مالا وولدا قياسا منه للآخرة على الدنيا بدليل آيات أخرى مثل قوله تعالى : « ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لى وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى » (٢١) .

والله تعالى بين من حاله ضد ما ادعاه فقال : « أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا » والمعنى أن الذى ادعى أنه يكون حاصلا له لا يتوصل إليه الا بأحد هذين الأمرين : إما علم الغيب واما عهد من عالم الغيب فبأيهما توصل اليه ؟

فرد الله تعالى دعوى العاص بن وائل السهمى وهى قوله: إنه يؤتى يوم القيامة مالا وولدا بالدليل المعروف عند الأصوليين بالسبر والتقسيم وعند الجدليين بالتقسيم والترديد وعند المنطقيين بالشرطى المنفصل وضابط هذا الدليل أنه يتركب من أصلين : الأصل الأول : حصر أوصاف المحل بطريق من طرق الحصر (٢٢) .

والأصل الثانى : اختبار تلك الأوصاف المحصورة وابطال

---

(٢٠) أسباب النزول للسيوطى ٢١١ كتاب الجمهورية .
(٢١) سورة فصلت من الآية ٥٠ .
(٢٢) والأصل الأول هو المعبر عنه بالتقسيم عند الأصوليين والجدليين وبالشرطى المتصل عند المناطقة .

ما هو باطل منها وابقاء ما هو صحيح منها (٢٣) والتقسيم الصحيح فى الآية يحصر أوصاف المحل فى ثلاثة والسبر الصحيح يبطل اثنين منها ويصحح الثالث وبذلك يدحض العاص بن وائل ويلقم الحجر فى دعواه : أنه يؤتى يوم القيامة مالا وولدا .

أما وجه حصر أوصاف المحل فى ثلاثة فنقول : قولك إنك تؤتى مالا وولدا يوم القيامة لا يخلو مستندك فيه من ثلاثة أشياء :

١ — أن تكون اطلعت على الغيب وعلمت أن إيتاء المال والولد يوم القيامة مما كتبه الله فى اللوح المحفوظ .

٢ — أن يكون الله قد أعطاك عهدا فانه أعطاك عهدا لن يخلفه .

٣ — أن تكون قلت ذلك افتراء على الله من غير عهد ولا إطلاع غيب .

وقد ذكر الله تعالى الشيئين الأولين فى قوله : « أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا » مبطلا لهما بهمزة الاستفهام الانكارى فى قوله : « أطلع » وبطلانهما على سبيل اليقين لأن العاص بن وائل لم يطلع الغيب ولم يتخذ عند الرحمن عهدا فتعين الشىء الثالث وهو أنه قال ذلك افتراء على الله وقد أشار تعالى إليه بحرف الردع والزجر « كلا » والمعنى : لأنه يلزمه لبس الأمر كذلك لم يطلع الغيب ولم يتخذ عند الرحمن عهدا

---

(٢٣) والأصل الثانى هو المعبر عند الأصوليين بالسبر وعند الجدليين بالترديد وعند المنطقيين بالاستثناء فى الشرطى المنفصل .

بل قال ذلك افتـــراء على الله لأنه لو كان أحدهما حاصـــلا لم يستوجب الردع عن مقالته (٢٤) ٠

وعلى هذا الرأى تكون « كلا » مفيدة الردع والزجر على أمر ثابت وهو قـول ذلك افتـــراء على الله وأن نفى اطلاع الغيب واتخاذ العهد عند الرحمن قد تحقق بهمزة الاستفهام الانكارى ٠

والمختار أن « كلا » حرف ردع وزجـــر تضمنت نفى ور الأمرين أى إنه لم يطلع ولم يتخذ العهد قال ابن فارس :

« وأصوب ما يقال فى ذلك أن « كلا » رد للامعنيين جميـ وذلك أن الكافر ادعى أمرا فكذب فيه ثم قيل : أتراه اتخذ عهدا أم اطلع الغيب كلا أى : لا يكون ذا ولا ذاك »(٢٥) .

وحينئذ تقف عليها فتمكن الفائدة ويتم المعنى (٢٦) ٠

ثم يأتى الكلام بعد « كلا » لبيان سبب ما أفادته « كلا » فيقول تعالى : « سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا ونرثه ما يقول ويأتينا فردا » ٠

وقفة مع النظم :

مناسبة هذه الآيات لما قبلها تتركز فى أن الفاء للتعقيب كأنه قال : أخبر أيضـــا بقصة هـــذا الكافر عقيب قصة أولئك والآيات والدلالات على البعث . فبعد أن ذكر ذلك أورد عنهم

---

(٢٤) أضواء البيان فى ايضاح القرآن بالقرآن ـ محمد أمين المختار الجنكى الشنقيطى ٣٩٣/٤ ـ ٣٩٦ وانظر توضيح هذا الدليل ٣٩٧/٤ ـ٤١٤

(٢٥) مقالة كـــلا ١٠ ٠

(٢٦) شرح كـــلا ٢٨ ٠

ما ذكروه على سبيل الاستهزاء طعنا فى القول بالحشر . والغاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أى : أنظرت فرأيت الذى كفر بآياتنا الباهرة التى حقها أن يؤمن بها كل من يشاهدها .

والهمزة فى قوله : « للاستفهام الذى أفاد التعجب من حال هذا الكافر « والإيذان بأنها من الغرابة والشناعة بحيث يجب أن ترى ويقضى منها العجب » وقيل إن « أريت » يعلق بمثل المتعجب منه فيقال : أرأيت مثل الذى صنع كذا « بمعنى أنه من الغرابة بحيث لا يرى له مثل فقد حفظ شيئا وغابت عنه أشياء وكأنه ذهب عليه قوله تعالى : أريت الذى يكذب بالدين » (٢٧) .

ورأى بمعنى أخبر . وعبر عن الاخبار بالرؤية لأنه لما كانت رؤية الاشياء سبيلا الى الاحاطة بها وصحة الخبر عنها استعملوا أرأيت بمعنى أخبرنى . أو رأى على أصلها والمعنى: انظر اليه فتعجب من حالته البديعة وجراءته الشنيعة (٢٨) .

واللام فى قوله : « لأونين » موطئة للقسم مما يدل على مدى عناده لدرجة أنه يتألى على الله تعالى وكأنه واثق مما يقول متحقق مما يدعى وفى ذلك كشف ما فى نفسه من كبر وتحد واصرار على الباطل . وقوله : « أطلع الغيب » الهمزة فيه للاستفهام الانكارى ـ كما سبق ـ واطلع الغيب من قولهم : اطلع الجبل إذا ارتقى الى أعلاه . وتقول : مر مطلعا لذلك الإمر أى : غالبا له مالكاله يقول الزمخشرى : « ولاختيار

---

(٢٧) ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم لأبى السعود ٤٤١/٣ دار الفكر .

(٢٨) المرجع السابق نفسه .

هذه الكلمة شأن يقول : أو قد بلغ من عظمة شأنه أن ارتقى الى عالم الغيب الذى توحد به الواحد القهار والمعنى : أن ما ادعى أن يؤتاه وتألى عليه لا يتوصل اليه الا بأحد هذين الطريقين: إما عالم الغيب وإما عهد من الغيب فبأيهما توصل الى ذلك » (٢٩) ٠

ففى ذلك رد لقوله الشنيع وبطلانه ٠

وفى ذكر لفظ « الرحمن » إشعار بعاليه الرحمة لإيتاء ما يدعيه ٠

وفى معنى العهد أقوال : قيل : العمل الصالح وقيل : كلمة الشهادة لأن وعده تعالى بالثواب عليهما كالعهد وقيل : إن المعنى : أم أعطاه الله عهدا أنه سيفعل له ذلك بدليل قوله تعالى فى سورة البقرة « قل أتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده »(٣٠) ورأى البعض أن هذا هو الأظهر لأن خير ما يفسر به القرآن القرآن ثم يستأنف الكلام بعد «كلا» لبيان السبب والعلة لهذا فقال تعالى : « سنكتب ما يقول » أتى بالسين التى تدل على المقاربة مع أن ما قاله كتب من غير تأخير بدليل قوله تعالى : « ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد » (٣١) لأن المعنى يحتمل عدة وجوه :

الوجه الأول : سنظهر أن كتبنا قوله بتنزيل أظهار الشئ الخفى منزلة إحداث الأمر المعدوم بجامع أن كلا منهما إخراج من الكمون الى البروز على سبيل الاستعارة التبعية المبنية

---

(٢٩) الكشاف للزمخشرى ٢/٥٢٢ دار المعرفة بيروت ٠
(٣٠) من الآية ٨٠ ٠
(٣١) سورة ق من الآية ١٨ ٠

على تشبيه إظهار الكتابة على رءوس الأشهار باحداثها ٠

الوجه الثانى : سننتقم منه إنتقام من كتب جريمة الجانى وحفظها عليه تسمية للشئ باسم سببه فان كتابة جريمة المجرم سبب لعقوبته قطعا مجازا مرسلا علاقته السببية ٠

الوجه الثالث : أن المتوعد يقول للجانى سوف أنتقم منك: يعنى أنه لا يخل بالانتصار وان تطاول به الزمان واستأخر فجرد حرف السين مهنا لمعنى الوعيد ٠

« ونمد له من العذاب مدا » مكان ما يدعيه لنفسه من الإمداد بالمال والولد والمعنى : نطول له من العذاب ما يستأهله ونعذبه بالنوع الذى يعذب به الكفار ٠ أو نزيد عذابه ونضاعفه له لكفره وافترائه على الله تعالى ٠ وسر التأكيد بالمصدر « مدا » أنه يدل على فرط غضب الله ٠

« ونرثه ما يقول ويأتينا فردا » أى نرثه بموته ما يقول إنه يؤتاه يوم القيامة من مال وولد والمعنى : يزول عنه ما آتيناه فى الدنيا من مال وولد فلا يعود إليه كما لا يعود الإرث إلى من خلفه وفى ذلك دليل على أنه ليس لما يقوله مصداق موجود سوى ما ذكر ٠٠٠ وإذا سلب عنه ذلك فى الآخرة يبقى فردا واذا قال ربنا « ويأتينا فردا » من المال والولد لم

نؤته ما تمنى فيجتمع عليه خطبان : تبعة قوله ووباله وفقد المطموع فيه ففردا تتضمن ذلته وعدم آنصاره(٣٢) .

٢ - الموضع الثانى فى سورة مريم قوله تعالى : «واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا . كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا » (٣٣) .

المناسبة : لما فرغ من الرد على منكرى البعث شرع فى الرد على عبدة الأصنام فبين أولا غرضهم وذلك أن يتعززوا بآلهتهم وينتفعوا بشفاعتها ثم أنكر عليهم وردعهم بقوله : « كلا » ثم أخبر عن مآل حالهم بقوله : « سيكفرون » (٣٤) .

وعبارة أبى السعود : « حكاية لجناية عامة للكل متتبعة لضد ما يرجون ترتبه عليها أثر حكاية مقالة الكافر المعهود واستتباعها لنقيض مضمونها ... »(٣٥) .

والمعنى المردود والذين استحقوا عليه الردع هو أن هؤلاء المشركين اتخذوا الأصنام آلهة متجاوزين الله تعالى ليتعززوا بهم بأن يكونوا وصلة إليه عز وجل وشفعاء عنده فيستفيدون منها فى النصرة والمنفعة والإنقاذ من العذاب .

---

(٣٢) انظر التفسير الكبير للفخر الرازى ٢٤٩/٢١ - ٢٥٠ - دار الفكر ط ثانية سنة ١٩٨٥ م ، وارشاد العقل السليم ٤٤١/٣ - ٤٤٢ ، والبحر المحيط لأبى حيان الأندلسى ٢١٣/٦ ، ٢١٤ دار الفكر ط ثانية ١٩٨٣ وأضواء البيان للشنقيطى ٣٩٣/٤ - ٤١٧ ، والفتوحات الالهية للجمل ٣ / ٧٦ ، ٧٧ . والجامع لأحكام القرآن للقرطبى ٦ / ٤١٨٤ - ٤١٨٧ ط دار الشعب ، وجامع البيان للطبرى ٩١/١٦ - ٩٢ دار الحديث بالقاهرة سنة ١٩٨٧م . وغرائب القرآن للنيسابورى ٦٩/١٦ - ٧٠ .

(٣٣) الآيتان ٨١ - ٨٢ .

(٣٤) غرائب القرآن على هامش جامع البيان للطبرى ٧٠/١٦، ٧١.

(٣٥) ارشاد العقل السليم ٤٤٣/٣ .

وتأتى « كلا » ردع وزجر وانكار لتعززهم بالآلهـة ورد لذلك الظن الفاسد أى : ليس الأمر كذلك إلا تكون المعبودات التى عبدتم من دون الله عزا لكم بل تكون بعكس ذلك فيكونون عليكم ضدا ...

ثم يستأنف الكلام بعد « كلا » كاشفا علة ما أفادته من هذه المعانى : « سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا » .

## وقفـة مع النظم :

الضمير فى قوله : « واتخذوا » راجع لعباد الأصنام وقد تقدم ما يعود عليه وهم الظالمون فى قوله تعالى : ونذر الظالمين فيها جثيا » فكل ضمير جمع مما بعده عائد عليه إن كان ممـا يمكن عوده عليه .

والضمير فى قوله : « ليكونـوا » عائـد على الآلهة أى : يتعززون بها فى النصرة والمنفعة والانقاذ من العذاب .

وقوله : « عزا » مصـدر وقع خبـرا فهو مفرد مذكر لفظا والمعنى جمع .

وفى مرجـع الضمير فى قـوله : « سيكفرون » رأيان : الرأى الأول : عائد على أقرب مذكور محدث عنه وهو الآلهة والمعنى : أن الآلهة سيجحدون عبادة هؤلاء إياهم بدليل ما ورد فى آيات كثيرة تؤيد هذا المعنى فهو الظاهر لانسجام الضمائر فى الجمع .

الرأى الثانى : قيل : الضمير عائد على المشركين العابدين

والمعنى : سينكر الكفرة حين شاهدوا سوء عاقبة كفرهم عبادتهم لها دما فى قوله : « والله ربنا ما كنا مشركين » هذا ظاهر فى العاقل من الآلهة وأما غير العاقل فيجعل الله له إدراكا ينكر به عبادة عابديه لكن قوله : « ويكونون » يرجح الرأى الأول لأن الضمير فى « يكونون » عائد على الآلهة المعبودين فيتسق الضمائر لواحد وعلى الرأى الثانى تختلف الضمائر إذ يكون فى « سيكفرون » للمشركين وفى « يكونون » للآلهة وتفريق الضمائر خلاف الظاهر ومعنى « ضدا » أى تكون الآلهة التى كانوا يرجون أن تكون لهم عزا ضد العز أى ذلا وهوانا أو تكون عونا عليهم وآلة لعذابهم حيث تجعل وقود النار وحصب جهنم أو حيث كانت عبادتهم لها سببا لعذابهم . وأطلق الضد على العون لما أن عون الرجل يضاد عدوه وينافيه بإعانته له عليه . وأفرد الضد لوحدة المعنى الذى عليه تدور مضادتهم فإنهم بذلك كشىء واحد(٣٦) .

٣ — موضع فى سورة المؤمنون قوله تعالى : « حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون » (٣٧) .

---

(٣٦) انظر الكشاف ٢/٥٢٣ ، ٥٢٤ ، والتفسير الكبير ٢١/٢٥١ ، ٢٥٢ ، والجامع لأحكام القرآن ٦/٤١٨٧ ، ٤١٨٨ ، والبحر المحيط ٦/٢١٤ ، ٢١٥ ، والفتوحات الالهية للجمل ٣/٧٧ ، ٧٨ ، وارشاد العقل السليم ٣/ ٤٤٣ ، ومقالة كلا لابن فارس ١٠ وأضواء البيان للشنقيطى ٤/٤١٩ ، ٤٢٠ وجامع البيان للطبرى ١٦/٩٣ ، ٩٤ مع غرائب القرآن على هامشه ١٦/٧٠ — ٧١ .

(٣٧) الأبيتان ٩٩ ، ١٠٠ .

المناسبة : الآيات الكريمة تتحدث عن المشركين وتذكر انكارهم للبعث قال تعالى : « قالوا ائذ امتنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعثون لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين » (٣٨) ثم احتج القرآن عليهم وذكرهم قدرته على كل شيء ثم قال : هم مصرون على ذلك حتى إذا جاء أحدهم الموت تيقن ضلالته وعاين الملائكة التى تقبض روحه .

والمعنى المردود والذى استحق عليه الكافر الردع : تمنى الرجعة الى الدنيا ليستدرك ما فاته يقول ابن فارس « رد لقوله : ارجعون فقيل له :كلا أى : لا ترد . والثانى قوله تعالى أعمل صالحا فقيل له كلا أى : لست ممن يعمل صالحا وهو لقوله تعالى فى سورة الانعام : ( ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وأنهم لكاذبون )(٣٩) ....»(٤٠) .

وتأتى « كلا » لتفيد الردع والزجر على هذه الأمنية التى فات وقتها وانتهى محلها متضمنة النفى أى : ليس الأمر كما يتمنى من أنه يجاب إلى الرجوع الى الدنيا .

ثم يستأنف الكلام بعد كلا ليبين القرآن أن ذلك مجرد كلام ولن يحدث بشأنه شيء يقول تعالى : « إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون» .

---

(٣٨) الآيتان ٨٢ . ٨٣ .
(٣٩) من الآية ٢٨ .
(٤٠) مقالة كلا ١٠ . وشرح كلا ٣٠ .

**وقفـة مع النظم :**

« حتى » فيها رأيان : الرأى الأول : أنها إبتدائية يبتدا بعدها الكلام كما قرر ذلك ابن عطية ٠

الرأى الثانى : قال الزمخشرى إنها غاية لما قبلها وهو قوله تعالى : « يصفون » وما بينهما من الأمر بالاستعاذة من همزات الشياطين ومن حضورهم اعتراض مؤكد للإغضاء بالإستعاذة من الشياطين أن يزلوه عليه الصلاة والسلام عن الحلم ويغروه على الانتقام ٠ وتعلق « حتى » بـ « يصفون » ليس على معنى أنه العامل حتى لا يترتب عليه محظور من حيث هو ربط لعلم الله تعالى بوقت معين ينتهى فيه ٠ وإنما تعلق « حتى » بـ « يصفون » بمعنى أنه معمول لمحذوف دل عليه « يصفون » والتقدير : يستمرون على الوصف المذكور حتى إذا جاء أحدهم الموت ٠

ويقرر أبو حيان أن « حتى » وإن كانت حرف ابتداء لا تفارقها الغاية وأنها فى الآية غاية جملة محذوفة يدل عليها ما قبلها والتقدير : فلا أكون كالكفار الذين تهمزهم الشياطين ويحضرونهم حتى إذا جاء أحدهم الموت ٠ ويبعد تعلقها بـ « لكاذبون » ٠ « جاء أحدهم الموت » المراد بمجىء الموت أماراته التى تحقق عندها الموت وصارت المعرفة ضرورية فحينئذ يسأل الرجعة هذا وقد وردت آيات كثيرة تدل على أنهم الرجعة فلا يجابون عند حضور الموت ويوم النشور ووقت عرضهم على الله تعالى ووقت عرضهم على النار ٠

والذى يسأل الرجعة على الأظهر وعند الأكثرين أنهم الكفار وقيل : تشمل من لم يزك ولم يحج بدليل آية سورة

المنافقون : « وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتنى الى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين » (٤١) ٠

وتقديم المفعول « أحدهم » على الفاعل « الموت » يدل على أن هذا القول المشعر بالندم والحسرة متعلق بهؤلاء الكافرين لا يتعداهم إلى المؤمنين بدليل ما ورد فى الحديث الشريف : « إذا عاين المؤمن الملائكة قالوا : نرجعك إلى الدنيا فيقول : الى دار الهموم والأحزان : بل قدوما الى الله تبارك وتعالى وأما الكافر فيقول: ارجعونى ، «قال» تحسرا على مافرط من الإيمان والطاعة « رب ارجعون » ٠ ويأتى سؤال هو : ما وجه الجمع فى قوله : ارجعون ولم يقل : رب ارجعنى بالإفراد ؟ والاجابة على ذلك من ثلاثة أوجه :

الوجه الأول : أن صيغة الجمع لتعظيم المخاطب لأن النادم السائل الرجعة يظهر فى ذلك الوقت تعظيمه ربه ٠

والوجه الثانى : قوله : « رب » استغاثة به تعالى وقوله . « ارجعون » خطاب للملائكة ٠٠٠

والوجه الثالث : جمع الضمير ليدل على التكرار فكأنه قال : رب ارجعنى ارجعنى ٠

وهذا يدل على مدى ضراعته بعد تحققه من الأمر ولكن

---

(٤١) الآية ١٠٠

بعد فوات الاوان : وضراعته فى طلب الرجعة مبنية على الرغبة فى العمل الصالح فيقول : « لعلى اعمل صالحا فيما تركت » . بـ ، لعل تفيد هنا إما التعليل اى . أرجعون لأجل ان أعمل صالحا وهذا هو الأظهر وإما الترجى والتوقع لأنه غير جازم بأنه إذا رد الى الدنيا عمل صالحا فالتردد المفاد من الترجى يرجع الى رده الى الدنيا أو الى التوفيق أى : أعمل صالحا إن وفقتنى إذ ليس على قطع من وجود القدرة والتوفيق لو رد الى الدنيا .

وقال : اعمل صالحا ولم يقل : أومن وأعمل صالحا إشعارا بأن الايمان أمر مقرر الوقوع غنى عن الاخبار بوقوعه قطعا فضلا عن كونه مرجو الوقوع والمعنى : لعلى أعمل فى الايمان الذى آتى به ألبتة عملا صالحا .

والأقرب فى تفسير « ما تركت » أن المراد : أن أعمل صالحا فيما قصرت فيدخل فيه العبادات البدنية والمالية والحقوق كأنهم تمنوا الرجعة ليصلحوا ما أفسدوه ويطيعوا فى كل ما عصوا .

وفى ارتباط الفعل « أعمل » بـ « صالحا » بذكر الصفة دون الموصوف دلالة على رغبة قوية فى توجهه الى الصالح فقط ولا يرتبط الا به وفى تنكيره دلالة على التعظيم بعد ما عاين العذاب وانكشفت له الأهوال .

وكانت كلمة « كلا » ردع وزجر وانكار واستبعاد ورد ولكن ما سبب ذلك ؟ سببه « إنها كلمة هو قائلها » كلمة : هى طائفة من الكلام المنتظم بعضه مع بعض والمراد بها قوله : « رب أرجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت » « هو قائلها » حتمية

قوله لها لاستيلاء الحسرة عليه هو قائلها وحده لا يجاب إليها ولا تسمع منه ٠

« ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون » أمامهم حائل بينهم وبين الرجعة الى الدنيا استعير للمدة التى بين موت الانسان وبعثه أى مده البرزخ والمرادمن العبارة إقناط كلى عن الرجعة الى الدنيا لما علم انه لا رجعة يوم البعث الى الدنيا وانما الرجعة يومئذ الى الحياة الأخروية ٠ وضمير الجمع عائد الى «أحدهم» باعتبار المعنى لأنه فى حكم كلهم ٠ وافراد الضمير باعتبار اللفظ (٤٢) ٠

٤ ـ الموضع الأول من سورة الشعراء قوله تعالى : « ولهم على ذنب فأخاف أن يقتلون قال كلا فاذهبا بآياتنا إنا معكم مستمعون » (٤٣) ٠

يحاور موسى عليه السلام ربه اثناء تشريفه بتحمل أعباء الرسالة يبدى خلالها موسى مخاوف نابعة من بشريته وشدة حرصه على أن يقوم بواجبه خير قيام وأن يطمئن قلبه بتأييد الله له من ذلك يأتى المعنى الذى رد بـ « كلا » واستحق عليه الردع والزجر متضمنة نفيه واثبات ما بعده وهو قوله : «ولهم على ذنب فأخاف أن يقتلون » طلب من الله تعالى أن يدفع عنه شرهم بعد أن طلب منه تعالى أن يكون هارون نبيا معه فحقق الله رغبته واستجاب له فقال تعالى « كلا » استجابة للأول

---

(٤٢) انظر : ارشاد السليم ٤/٦٣ ، ٦٤ ، والتفسير الكبير ٢٣/١١٩ ـ ١٢٢ ، وجامع البيان للطبرى ١٨/٤٠ ، ٤١ وغرائب القرآن على هامشه ٣١ ، ٣٢ وأضواء البيان للشنقيطى ٥/٨١٩ ـ ٨٢٢ ، والكشاف ٣/٤٢ ، الجامع لاحكام القرآن ٦/٤٥٤١ ، ٤٥٤٢ ، والبحر المحيط ٦/٤٢٠ ، ٤٢١ ، والفتوحات الالهية للجمل ٣/٢٠٢ ٠

(٤٣) الآيتان : ١٤ ، ١٥ ٠

ى ارتدع ياموسى عما تظن وعن خوفك فهم لا يصلون الى قتلك • وآمر بالثقة بالله تعالى أى : ثق بالله فإنهم لا يقدرون على قتلك •

وأجابه الى الثانى بقوله : « فاذهبا » التمس منه تعالى المؤازرة بأخيه فأجابه بقوله : « فاذهبـــا » أى : اذهب أنت والذى طلبته وهو هارون •

فقوله تعـالى : « كلا فاذهبـا بآياتنا » حكاية لاجابته تعالى الى الطلبتين : الدفع المفهوم من الردع عن الخوف وضم أخيه المفهوم من توجيه الخطاب إليهما •••

ويأتى قوله تعالى : « إنا معكم مستمعون » تعليلا للردع عن الخـوف ومزيد تسلية لهما بضمان كمال الحفظ والنصرة مثل قوله تعالى : « إننى معكما أسمع وأرى » (٤٤) •

## وقفـة مع النظم

« ولهم على ذنب » المعنى : لهم قبلى تبعة ذنب أو جزاء ذنب فسمى جزاء الذنب ذنبا من تسمية المسبب وهو الجزاء باسم السبب على سبيل المجاز المرسل أو من باب حذف المضاف واقامة المضاف اليه •

والمراد بالذنب هنا : « قتل القبطى خطـأ بالوكزة التى وكزها كما هو مفصل فى سورة القصص • وهذا ليس ذنبـا ولكن سمى ذنبا بإعتبار زعمهم « فأخاف أن يقتلون » بمقابلته قبل أداء الرسالة كما ينبغى • وليس ذلك القول تلكأ فى أداء

---

(٤٤) طه الآية ٤٦ •

الرسالة أو تعللا بل قال ذلك استدفاعا لما يتوقعه منهممن القتل وخاف أن يقتل قبل أداء الرسالة فموسى خائف على فوات المقصود من الرسالة بدليل الردع المفاد من « كلا » • وفي ذلك دليل على أن الخوف قد يصحب الأنبياء والفضلاء والأولياء مع معرفتهم بالله وأن لا فاعل إلا هو إذ قد يسلط من شاء على من يشاء ...

وقوله : « فاذهبا بآياتنا » عطف على ما دل عليه « كلا » كأنه قيل : ارتدع عما تظن فاذهب أنت وأخوك •

وفي قوله « فاذهبا » أمر لموسى وهارون والخطاب لموسى فقط لأن الارسال والخطاب المذكورين كانا بالطور وهارون إذ ذاك كان بمصر ففيه تغليب الحاضر على الغائب •

وقوله « بآياتنا » إشارة إلى أنها تدفع ما يخافه •

وقوله : « إنا معكم مستمعون » جاء ضمير الجمع في قوله « « معكم » مع أن الخطاب لاثنين فقط تعظيما لهما وكأنهما لشرفهما عند الله عاملهما في الخطاب معاملة الجمع إذ كان جائزا أن يعامل به الواحد لشرفه وعظمته •

وفي قوله تعالى : « إنا معكم مستمعون » مجاز إما باعتبار المعية لأن المصاحبة من صفات الأجسام وهذا محال عليه تعالى حيث مثل حاله تعالى بحال ذي شوكة قد حضر مجادلة قوم يستمع ما يجرى بينهم ليمد أولياءه ويظهرهم على أعدائهم مبالغة في الوعد بالاعانة على سبيل الاستعارة التمثيلية فالمراد معية النصرة والمعونة •

وإما باعتبار المجاز في قوله : « مستمعون » فالاستما

بخلاف السمع الذى يجوز اطلاقه على الله حقيقة لأن الاستماع جار مجرى الاصغاء ولا بد فيه من الجارحة وهذا يستحيل عليه تعالى فاستعير الاستماع الذى هو بمعنى الاصغاء للسمع الذى هو العلم بالحروف والأصوات ٠

وحاصل الآية : إنا لكما ولعدوكما كالناصر الظهير لكما عليه إذا حضر واستمع ما يجرى بينكما وبينه (٤٥) ٠

٥ ـ الموضع الثانى من سورة الشعراء قوله تعالى : «فلما تراء الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمـــدركون قال كـــلا ان معى ربى سيهدين »(٤٦) ٠

والآيات تتتـــابع تشرح لقاء موسى وهارون مع فرعـــون واعـــلان الرسالة وتحدث المعجزة ويدحض فرعون ومن معـــه فيحشد للمؤمنين الجيوش ويطاردهم الى أن رأوا أمامهم البحر ومن خلفهم فرعون وجنوده يطلبونهم فى هذا الموقف الرهيب تصور حالة المؤمنين وردع موسى لهم ٠

فالمعنى المردود والذى استحق عليه أصحاب موسى الردع والزجر هو : قولهم فى جزع وفزع حينما رأى كل من الفريقين الآخر . إذا لمدركون أى لملحقون و « قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ماجئتنا»(٤٧)كانوا يذبحون أبناءنا قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا يدركوننا أى فى الساعة فيقتلوننا وساءت ظنونهم وقالوا ذلك توبيخا وجفاء ولذا جاء الرد من موسى عليه السلام

---

(٤٥) جامع البيان للطبرى ١٩/٤٠ ، ٤١ وغرائب القرآن على هامشه ١٩/٥١ ، ٥٢ ، والكشاف ٣/١٠٧ ، وارشاد العقل السليم ٤/١٥٧ وأضواء البيان للشنقيطى ٦/٣٦٩ ، والفتوحات الالهية للجمل ٣/٣٧٤ ، والبحر المحيط ٧/٨ ، والتفسير الكبير ٢٤/١٢٤ والجامع لاحكام القرآن ٧/٤٨٠٨ ٠

(٤٦) الآتيان ٦١ ، ٦٢ ٠

(٤٧) الاعراف من الآية : ١٢٩ ٠

حيث قد تعلم من ربه فيرد عليهم بقوله « كلا » رد عليهم قوله وزجرهم وذكرهم وعد الله تعالى له بالهداية والظفر فلم يدركوكم أبدا .

ثم يقوى نفوسهم بأمرين : أحدهما قوله : إن معى ربى سيهدين » فذكر المعية - كما سبق - دلالة النصرة والتكفل بالمعونة والثانى : قوله : « سيهدين » والهدى هو طريق النجاة والخلاص واذا دله على طريق نجاته وهلاك أعدائه فقد بلغ النهاية فى النصرة .

## وقفة مع النظم :

قوله : « تراءى » بما تحمله من التفاعل وما ألفته فى نفوس أصحاب موسى من فزع وجزع وهذا بحكم البشرية فقالوا « انا لمدركون » ... وذلك لتعظم النعمة ويزدادوا إيمانا بعد هلاك فرعون ... وعبروا بالجملة الاسمية مؤكدة بحرفى التوكيد : إن ولام الابتداء للدلالة على تحقق الادراك واللحاق وتنجزهما ... وتأتى « كلا » ردعا عن هذا الظن وتنزيل ما فى نفوسهم من قلق وتبعث فى نفوسهم بشائر النصر ودلائل هلاك العدو ... ثم يعلل ذلك بما وعده ربه بالنصر : « إن معى ربى سيهدين » أكد الكلام ليعكس عما فى نفسه من قوة الثقة فى هذا الوعد بحيث لا يداخله أدنى شك . وذكر السين لتدل على حتمية تحقيق الهداية والدلالة على النصر وهلاك العدو وبما تصوره المعية من ضرورة النصر والكلاءة ... وتأتى الآيات بعد ذلك لبيان كيفية النصر (٤٨) .

---

(٤٨) الجامع لاحكام القرآن ٧/٤٨٢٢ ، والتفسير الكبير ٢٤/١٣٨ ، والكشاف ٣/١١٥ ، وارشاد العقل السليم ٤/١٦٤ والبحر المحيط ٧/١٩، ٢٠ وجامع البيان للطبرى ١٩/ ٥٠ وغرائب القرآن على هامشه ١٩/٥٧ .

**ملاحظـــة :**

نظرا إلى أن « كلا » فى موضعى الشعراء واقعة فى حيز القول فيحسن الوقف على « كلا » وما بعدها « فاذهبا » و « إن معى ربى » كل منهما مقول لقول جديد . ولا يجوز الابتداء بـ « كلا » لأن القول لا يوقف عليه دون المقول آبدا لعـدم تمـام المعنى (٤٩) .

٦ ـ موضع سورة سـبأ قوله تعالى : « قل أرونى الذين ألحقتم به شركاء كلا بل هو الله العزيز الحكيم » (٥٠) .

المناسبة : من المقرر أن المعبود قد يعبده قوم لدفع الضرر وقوم لتوقع المنفعة وقليل من الأشراف الأعـزة يعبدونه لأنه يستحق العبادة لذاته فلما بين أنه لا يعبـد غيـر الله لدفع الضرر إذ لا دافع للضرر غيره بقوله : « قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض وما لهم فيهما من شرك وما لهم منه من ظهير » (٥١) وبين أنه لا يعبد غيـر الله لتوقع المنفعة بقوله : « قـل من يرزقكم من السموات والأرض قل الله » (٥٢) بين ههنا أنه لا يعبد أحـد لاستحقاقه العبادة غير الله فقال : « قل أرونى الذين ألحقتم به شركاء كلا بل هو الله العزيز الحكيم » أى هو المعبود لذاته واتصافه بالعزة وهى القدرة الكاملة والحكمة وهى العلم التام الذى عمله موافق له (٥٣) .

والمعنى المردود يحتمل عدة أوجه : الوجه الأول : « كلا »

---

(٤٩) شرح كلا لمكى ٣٣ .
(٥٠) الآية : ٢٧.
(٥١) سبأ ٢٢ .
(٥٢) سبأ من الآية ٢٤ .
(٥٣) التفسير الكبير ٢٥٩/٢٥

رد لقوله : « أرونى » أى : إنهـم لا يرون ذلك وكيف لا يرون شيئا لايكون . الوجه الثانى : رد لقوله : « ألحقتم به شركاء» أى لا شريك له .

الوجه الثالث : رد لجوابهم المحذوف كأنه قال : أرونى الذين ألحقتم به شركاء قالوا : هى الأصنام فقال : كلا أى : ليس له شركاء . والاوجه الثلاثة ترجع لمعنى واحد هو : ليس الأمر كما زعمتم .

وبذلك تجد « كلا » قوية الدلالة فى ابطال مزاعم المشركين وترد عليهم وتثبت ضد ما اعتقدوه .

ثا يأتى بعدها الكلام مستأنفا يبين علة هذا الرد بأن الذى يعبد لذاته ولاتصافه بالعزة والحكم هو الله فقال « بل هو الله العزيز الحكيم » .

## وقفـة مع النظم :

« أرونى » فيه اوجهان : الوجه الأول أنها بصرية متعدية قبل النقل لواحـد وبعـده لاثنين أولهما ياء المتكلم وثانيهما الموصول وشركاء منصوب على الحال والمعنى : أرونى أصنامكم التى ألحقتموها بالله شركاء كفرا منكم وشركا وافتراء . والأمر فى « أرونى » ليس على حقيقته بل مراد به التبكيت والتوبيخ والمعنى : إن الذين هم شركاء لله على زعمكم هـم ممـن إن أريتموهم افتضحتم لأنهم خشب وحجر وغير ذلك من الحجارة والجماد كما تقول للرجل الخسيس الأصـل : اذكر لى آباك الذى قايست به فلانا الشريف ولا تريد حقيقة الذكر وإنمـا أردت تبكيته وأنه إن ذكر آباه افتضح .

فهى رؤية يتضح بها بعدها عن صفات الألوهية ويظهر لكل عاقل برؤيتها بطلان عبادة ما لا ينفع وما لا يضر فإحضارها والكلام فيها وهى مشاهدة أبلغ من الكلام فيها غائبةً مع أنه صلى الله عليه وسلم يعرفها .

يقول أبو السعود : « أريد بأمرهم بإراءة الأصنام مع كونها بمرأى منه عليه الصلاة والسلام اظهار خطئهم العظيم واطلاعهم على بطلان رأيهم أى : أروني لأنظر بأى صفة الحقتموها بالله الذى ليس كمثله شيء فى استحقاق العبادة وفيه مزيد تبكيت لهم يعد إلزام الحجة عليهم »(٥٤) .

الوجه الثانى أنها من رأى العلمية متعدية قبل النقل الى اثنين فلما جيء بهمزة النقل تعدت الى ثلاثة : أولها ياء المتكلم وثانيها الموصول وثالثها شركاء والمعنى : عرفونى الأصنام التى جعلتموها شركاء لله عز وجل وهل شاركت فى خلق شيء فبينوا ما هو وإلا فلم تعبدوها ؟ .

وأراد بالأمر أن يريهم الخطأ العظيم فى الحاق الشركاء بالله وأن يقايس على أعينهم بينه وبين أصنامهم ليطلعهم على إحالة القياس إليه والاشراك به ثم تأتى « كلا » ترديهم عن مذهبهم بعد ما كسده بابطال المقايسة ورد الالحاق ثم زاد فى توبيخهم . بقوله : « بل هو الله العزيز الحكيم » فنبه على تفاحش خطئهم وأن لم يقدروا الله حق قدره والمعنى(٥٥): أين الذين ألحقتم به شركاء من هذه الصفات فان

---

(٥٤) ارشاد العقل السليم ٤/٣٥١ .

(٥٥) الجامع لاحكام القرآن ٧/٥٣٨٢ ، وأضواء للبيان للشنقيطى ٦/٦٢١ ، ٦٢٢ ، والفتوحات الالهية للجمل ٣/٤٧٣ والكشاف ٣/٢٨٩، ٢٩٠ ، والبحر المحيط ٧/٢٨٠ ، ٢٨١ ، وجامع البيان للطبرى ٢٢/٦٦ وغرائب القرآن على هامشه ٢٢/١٠ .

الإله لا يمكن أن يخلو عن القدرة الكاملة والحكمة الشاملة .. وهـذه الآية يختم بهـا تقرير التوحيد يأتى بعـدها تقرير الرسالة ..

٧ ـ الموضع الأول فى سورة المعارج قوله تعالى : « يود المجرم لو يفتدى من عـذاب يومئـذ ببنيه وصاحبته وأخيه وفصيلته التى تؤويه ومن فى الأرض جميعا ثم ينجيه كلا إنها لظى » (٥٦) .

يصف القرآن لنا حالة من أحوال يوم القيامة فيستأنف الكلام لبيان أن اشتغال كل مجرم بنفسه بلغ الى حيث يتمنى أن يفتدى بأقرب الناس اليه وأعلقهم بقلبه فضلا عن أن يهتم بحاله ويسأل عنها قال تعالى : « يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته وأخيه وفصيلته التى تؤويه ومن فى الأرض جميعـا ثم ينجيه » فالمعنى المردود هـو ما يوده من الافتداء من النفع فليس الأمـر على ما يتمنى هؤلاء المشركون لا يفديهم من عذاب الله شيء . وتأتى « كلا » تؤكد هذا المعنى تنفيه وتثبت ضده وكأنه قال : لا ينجيه أحد ممن فى الأرض ولو افتدى به .

يقول ابن فارس : « كلا فـرد لقولهم : ثم ينجيه أو رد لقوله : لو يفتدى » (٥٧) وتفيد الردع والزجر والمعنى : انتهوا وازدجروا إن الذى تعذبون به لظى (٥٨) . وتنبيه على أنه لا ينفعه ذلك .

ويأتى الكلام بعد « كلا » استئنافا يبين علة ما أفادته

---

(٥٦) الآيات ١١ ـ ١٥ .
(٥٧) مقالة كلا ١١ .
(٥٨) شرح كلا ٣٦ .

« كلا » من الردع والزجر وما تضمنته من النفى والرد فقال تعالى : « إنها لظى نزاعة للشوى تدعو من أدبر وتولى وجمع فأوعى » .

## وقفة مع النظم :

ففى قوله تعالى : « يود المجرم لو يفتدى ... ثم ينجيه» اعلام منه تعالى عباده أن الكافر من عظيم ما ينزل به يومئذ من البلاء يفتدى نفسه لو وجد الى ذلك سبيلا بأحب الناس اليه كان فى الدنيا وأقربهم اليه نسبا حيث يتمنى أنه يفتدى من عذاب الله إياه فى ذلك اليوم ببنيه وزوجته وأخيه وعشيرته التى تضمه فى النسب وتؤمنه من خوف فى النوائب الأحب فالأحب والأقرب فالأقرب من أهله وعشيرته لشدائد ذلك اليوم ...

و « لو مصدرية ينسبك معها بعدها بمصدر أى : يود افتداء . والمعنى يود أنه يملك هذه الأشياء ويفتدى بها وأن الافتداء بها ينفعه . والتنوين فى « إذ » عوض عن جمل محذوفة والتقدير : يود إذ تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن ولا يسأل حميم حميما . وفى ذلك من مجاز الحذف الذى هو حلية القرآن .

و « ينجيه » عطف على يفتدى و « ثم » تدل على استبعاد الانجاء عن الافتداء ثم تأتى « كلا » بما تحمله من معان لتؤكد هذا الاستبعاد . ويأتى الكلام بعدها إخبارا بما أعد من العذاب واستئنافا يعلل ما أفادته « كلا » إنها لظى لهب خالص . نزاعة للشوى تنزع أطراف الانسان : اليدين والرجلين وجلد الرأس ولحم الساقين واليدين فتهلكها ثم يعيدها الله

تعالى وقيل فى اعرابها : إنها منصوبة على الاختصاص وذلك للتهويل من أمر النزع • « فهى قلاعة للأعضاء التى فى طرف الانسان ثم تعود كما كانت وهكذا أبدا • وقوله تعالى : « تدعو من أدبر وتولى وجمع فأوعى » رد على أولئك المستخفين بالعذاب المستعجلين به مجازاة لهم بالمثل كما دعوا وطلبوا لأنفسهم العذاب استخفافا فهى تدعوهم اليها زجرا أو تخويفا مقابلة دعاء بدعاء أى : ان كنتم فى الدنيا دعوتم بالعذاب فهذا هو العذاب يدعوكم اليه • وفى دعوة النار أقوال : قيل انها تدعوهم بلسان الحال لأنه لما كان مرجع كل من الكفرة الى دركة من دركات جهنم كأنها تدعوهم اليها على سبيل الاستعارة التمثيلية وقيل : يخلق الله فى جرم النار الكلام حتى تقول صريحا فصيحا : الى يا كافة الكفرة ثم تلتقطهم التقاط الحب وهذا لا يستبعد فى قدرة الله تعالى • وقيل : إنها على حذف المضاف أى : تدعو زبانيتها •

وقيل : إن الدعاء بمعنى الإهلاك مثل قول العرب : دعاه الله أى أهلكه ولكن من المدعو ؟ المدعو من أدبر عن الطاعة وتولى عن الايمان وجمع المال حرصا عليه وجعله وعاء وكنزه فلم يؤد حقوق الله فيه أصلا • ولما كانت هذه الصفات تجمع آفات النفس استحق من أجلها هذا العذاب ••• (٥٩) •

٨ ــ الموضع الثانى من سورة المعارج قوله تعالى : «أيطمع

---

(٥٩) الجامع لاحكام القرآن ٩/٦٧٦٥ ، ٦٧٦٨ ، والتفسير الكبير ٣٠/١٢٦ ــ ١٢٧ ، وأضواء البيان للشنقيطى ٨/٤٥٦ والفتوحات الالهية للجمل ٤/٤٠٥ ، ٤٠٦ ، والكشاف ٤/١٥٧ ، ١٥٨ وارشاد العقل السليم ٥/٧٦٧ ، ٧٦٨ والبحر المحيط ٨/٣٣٤ ، ٣٣٥ ، وجامع البيان للطبرى ٢٩/٤٧ ــ ٤٩ وغرائب القرآن على هامشه ٢٩/٤٤ •

كل امرىء منهم أن يدخل جنـــة نعيم كلا انا خلقناهم ممـــا يعلمون » (٦٠) .

المناسبة : بعد أن ذكرت الآيات صفات المؤمنين وختمت ببيان الجزاء وأنهم فى جنات مكرمون . يقول المفسرون كان المشركون يحتفون حول رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقا يستهزئون به وبالمؤمنين ويقولون : ان ادخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد فلندخلها قبلهم فنزل قوله تعالى : « فمال الذين كفروا قبلك مهطعين عن اليمين عن اليمين وعن الشمال عزين» . فهذا بيان ما يتعلق بالمشركين بعد بيان ما يتعلق بالمؤمنين .

والمعنى المردود فى قوله تعالى : « أيطمع كل امرىء أن يدخل جنة نعيم » أى : أيطمع كل رجل منهم أن يدخل جنتى كما يدخلها المسلمون .

ثم تأتى « كلا » ردعا لهم عن ذلك الطمع الفاسد وذلك من وجهين : الوجه الأول : أنهم ينكرون البعث فمن أين لهم هذا الطمـــع والوجه الثانى : انهم لم يعدوا لها زادا من الايمـــان والعمل الصالح فمن حكم الله « فى بنى آدم أن لا يدخل أحد منهم الجنة إلا بالإيمان والعمل الصالح فلم يطمع كل امرىء منهم ليس بمؤمن ولا صالح أن يدخل الجنة ولا يدخلها إلا مؤمن صالح العمل » (٦١) .

ثم يستأنف الكلام بعدها تعليلا لما أفادته « كلا » قال تعالى : « إنا خلقناهم مما يعلمون » رد عليهم من الوجهين ، فإن من علم أن أوله نطفة لم ينكر البعث أو من علم أن أوله

---

(٦٠) الآيتان ٣٨ ، ٣٩ .
(٦١) مقالة كلا ١١ .

نطفة مذرة كسائر بنى آدم لم يدع التقدم والشرف بلاتوسل من الايمان والعمل الصالح ٠

## وقفــة مع النظم :

« أيطمع كل امرىء منهم أن يدخل جنة نعيم » أيطمع كل رجل من هؤلاء الكفار قبلك مهطعين آن يدخله الله بساتين نعيم ينعم فيها والاستفهام هنا لإنكار قولهم : لو صح ما يقوله لتكون فيها أفضل حظا منهم كما فى الدنيا ٠ وفى الكلام حذف يعينه المقام أى : يدخل جنة نعيم بلا إيمان ٠ وتأتى «كلا » نردعهم عــن هذا الطمع الفارغ ٠٠٠ ثم يستأنف الكلام وهو قوله تعالى : « إنا خلقناهم مما يعلمون » فهذا كلام ليس لمجرد الإخبار لأنهم يعلمون والعالم ليس فى حاجة الى إخبار ولكن المراد بذلك لازم فائدة الخبر وهو تعليل الردع والرد المفادين من « كلا » وقيل : المعنى : إنا خلقناهم من أجل ما يعلمون وهو تكميل النفس بالايمان والطاعة فمن لم يستكملها بذلك فهو بمعزل من آن يبوأ فى منازل الكاملين : إنا خلقناهم من نطفة مذرة فمن أين يتشرفون ويدعون التقدم ويقولون لندخلن الجنة قبلهم ٠٠٠

والأقرب : أن المراد هو إفهامهم بأن من خلقهم من هــذا الذين يعلمون قادر على إعادتهم وبعثهم ومجازاتهم فالــكلام مستأنف قد سيق تمهيدا لما بعده من بيان قدرته تعــالى فى قوله تعالى : « فلا أقسم برب المشارق والمغارب إنا لقادرون على آن نبدل خيرا منهم وما نحن بمسبوقين » وما بعده من آيات بدليل ما تفصح عنه الغاء الفصيحة فى قوله : « فلا أقسم » والمعنى : إذا كان الأمر كما ذكر من آنا خلقناهم مما يعلمون فأقسم برب المشارق والمغارب ٠٠٠٠

وتقدير متعلق « يعملون » : من النطفة المذرة وهى منصبهم الذى لا منصب أوضح منه وحذف • إشعارا بأنه منصب يستحيا من ذكره واحالة على المواضع التى ذكر فيها فى القرآن الكريم .... (٦٢) •

٩ ـ الموضع الأول من سورة المدثر قوله تعالى : ثم يطمع ان أزيد كلا إنه كان لآياتنا عنيدا » (*) •

بعد أن يذكر القرآن نعم الله على الوليد بن المغيرة مع كفره وعناده يورد زعمه فى قوله : « ثم يطمع أن أزيد » على المال والبنين والتمهيد قيل : فى الدنيا أى : يرجو أن يزيد ماله وولده وقد كفر بى وقيل : زيادة فى الآخرة روى أنه كان يقول: إن كان محمد صادقا فما خلقت الجنة إلا لى •

وتأتى « كلا » إبطالا » لذلك الطمع الفاسد وردعا متضمنا نفى الزيادة يقول المفسرون : ولم يزل الوليد فى نقصان بعد قوله « كلا » حتى افتقر ومات فقيرا فـ « كلا » قطع للرجاء عما كان يطمع فيه من الزيادة فيتم الكلام ويحسن الوقف ويستأنف الكلام بعد « كلا » تعليلا لهذا الردع المتضمن النفى بقوله : « إنه كان لآياتنا عنيدا » كأن قائلا قال : لم لا يزاد ؟ فقيل : إنه عاند آيات المنعم وكفر بذلك نعمته والكافر لا يستحق المزيد •

---

(٦٢) الجامع لاحكام القرآن ٦٧٧٢/٩ ، وجامع البيان للطبرى ٥٢/٢٩ ـ ٥٥ وغرائب القرآن على هامشه ٤٦/٢٩ والتفسير الكبير ١٣٢/٣٠ ، وأضواء البيان للشنقيطى ٥١٦/٨ ـ ٥١٨ ، والكشاف ١٥٩/٤ ، ١٦٠ وارشاد العقل السليم ٧٦٩/٥ ، ٧٧٠ ، والفتوحات الالهية للجمل ٤٠٨/٤ ، والبحر المحيط ٢٣٦/٨ وأنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوى ٧٦٠ ـ دار الجيل •

(*) الايثان : ١٥ ، ١٦ •

**وقفـة مع النظم :**

ثم يطمـع أن أزيـد » ثم عطفت الجملة على « جعلت ومهدت » وهى وإن أفادت العطف إلا أنهـا أفادت الاستبعاد والإستنكار والتعجيب من طمعه هـذا مثل قولك لصاحبك . أنزلتك دارى وأطعمتك وأسقيتك ثم أنت تشتمنى ، ومتعلق « أزيد » محذوف والتقدير : أن أزيده على المال والبنين والتمهيد وقيل : ثم يطمع أن أنصره على كفره ثم تأتى « كلا » تأكيدا لذلك الاستبعاد المفـاد من « ثم » وبعـدها يأتى الاستئناف البيانى « إنه كان لآياتنا عنيدا » أى معاندا للنبى صلى الله عليه وسلم وما جاء به معرضا مجاهرا بعدوانه مجانبا الحق. وفى الآية إشارة إلى عدة صفات للوليد بن المغيرة منها :

١ ـ أنه كان معاندا فى جميع الدلائل الدالة على التوحيد والعدل والقدرة وصحة النبوة وصحة البعث وكان هو منازعا فى كل منكرا للكل .

٢ ـ أن كفره كان كفر عناد كان يعرف هذه الأشياء بقلبه إلا أنه كان ينكرها بلسانه وكفر المعاند أفحش أنواع الكفر .

٣ ـ والآية « إنه كان لآياتنا عنيدا » تدل على أنه كان من قديم الزمان على هذه الحرفة .

٤ ـ وتفيد أيضا أن تلك المعاندة كانت منه مختصة بآيات الله مع كونه تاركا للعناد فى سائر الأشياء مما يدل على غاية الخسران (**) .

---

(**) الكشاف ٤/١٨٢ ، والفتوحات الالهية للجمل ٤/٤٣٧ ، والجامع لاحكام القرآن ٩/٦٨٦٤ ـ ٦٨٦٥ والتفسير الكبير ٣٠/١٩٩ ، ٢٠٠ ، وجامع البيـان للطبرى ٢٩/٩٦ وغرائب القرآن على هـامشه ٢٩/٨٥ ـ ٨٧

١٠ ـ الموضع الثانى الذى يحسن عليه الوقف من سورة المدثر قوله تعالى : « يريد كل امرىء منهم أن يؤتى صحفا منشرة كلا بل لا يخافون الآخرة (**) .

« بل » اضراب انتقالى عن محذوف هو جواب السؤال السابق وهو قوله تعالى : فما لهم عن التذكرة معرضين كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة » تقديره : فلا جواب عن هذا السؤال أى لا سبب لهم فى الإعراض بل يريد روى أن أبا جهل وجماعة من قريش قالوا : يا محمد لن نؤمن بك حتى تأتى كل واحد منا بكتاب من السماء عنوانه من رب العالمين إلى فلان ونؤمر فيه بإتباعك ... وهذا المراد من الآية بل يريد كل امرىء أن يؤتى صحفا منشرة » أى منشورة غير مطوية آى طرية لم تطو بل تأتينا وقت كتابتها يقرأها كل من يراها زيادة فى تعنتهم فيرد عليهم القرآن « كلا » ردعا لهم وزجرا عن هذا العناد آى لا يؤتى ذلك أو لا يؤمنون بالصحف لو أتتهم يقول الفخر الرازى : « كلا وهو ردع لهم عن تلك الإرادة وزجر عن اقتراح الآيات .

ويأتى استئناف الكلام بعدها « بل لا يخافون الآخرة » اضرابا انتقاليا لبيان سبب هذا التعنت والاقتراح أى : أنهم لو خافوا النار لما اقترحوا هذه الآية بعد قيام الأدلة لأنه لما

حصلت المعجزات الكثيرة كفت فى الدلالة على صحة النبوة فطلب الزيادة إنما هو تعنت . (٦٣) فإعراضهم عن التذكرة هو

---

(**) الايتان : ٥٢ ـ ٥٣ .

(٦٣) الكشاف ١٨٨/٤ ، والفتوحات الالهية ٤٤٤/٤ ، ٤٤٥ ، والتفسير الكبير ٢١٢/٣٠ ، ٢١٣ والجامع لاحكام القرآن ٦٨٦٨/٩ ، وارشاد العقل السليم ٧٩٤/٥ ، وجامع البيان للطبرى ١٠٧/٢٩ وغرائب القرآن على هامشه ٩٤/٢٩ والبحر المحيط ٣٨١/٨ .

عدم خوفهم من الآخرة لا إمتناع إيتاء الصحف .

١١ - موضع فى المطففين قوله تعالى : وما يكذب به إلا كل معتد أثيم إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون » (٦٤) .

يخبر الله تعالى عن صفات من يكذب بيوم الدين وهى ثلاث :

١ - كونه معتديا والاعتداء هو التجاوز عن المنهج الحق .

٢ - كونه آثيما وأثيم مبالغة فى إرتكاب الإثم والمعاصى .

٣ - كونه منكرا للنبوة فى قوله تعالى : « إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين » أى : القرآن فى زعمه أكاذيب الأولين أو أخبار الأولين وأن الرسول عنهم أخذ . وهذا قدح فى كون القرآن من عند الله . وهذا هو المعنى المردود .

قيل : إن المراد به واحد مخصوص وقيل : إنه عام .

وتأتى « كلا » ردعا وزجرا لهؤلاء متضمنة نفى ما زعموا أى : ليس الأمر كما قال . فهى ردع للمعتدى الأثيم عن ذلك القول الباطل وتكذيب له فيه .

ويأتى الكلام بعدها « بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون » اضرابا انتقاليا لبيان سبب هذا الزعم والافتراء

---

(٦٤) الآيات ١٢ - ١٤ .

والمعنى : ليس فى آياتنا ما يصح أن يقال فى شأنها مثل هذه المقولات الباطلة بل ركب على قلوبهم وغلب عليها ما كانوا يكسبونها من الكفر والمعاصى حتى صارت كالصدأ فى المرآة فحال ذلك بينهم وبين الحق على سبيل الاستعارة التبعية (٦٥) .

١٢ ـ موضع فى سورة الفجر قوله تعالى : « فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربى أكرمن وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربى أهانن كلا بل لا تكرمون اليتيم ... » (٦٦) .

المعنى المردود : هو أن من صفة الكافر الذى لا يؤمن بالبعث أن الكرامة عنده والهوان بكثرة الحظ فى الدنيا وقلته وتأتى « كلاّ » ردعا عن هذا الظن متضمنة النفى فترد على من ظن أن سعة الرزق إكرام وأن الفقر إهانة أى : ليس الإكرام بالغنى والإهانة بالفقر وإنما هو بالطاعة والمعصية وكأن الله تعالى يقول : كلا إنى لا أكرم من أكرمت بكثرة الدنيا ولا أهين من أهنت بقلتها وأنا أكرم من أكرمت بطاعتى وأهين من اهنت بمعصيتى ويأتى ما بعد كلا وهو قوله تعالى : « بل لا تكرمون اليتيم ... » اضراب انتقالى من قبيح الى أقبح للترقى فى ذمهم والمعنى : بل فعلهم أسوأ من قولهم أى : بل هناك شر من هذا القول وهو أن الله يكرمهم بكثرة المال فلا يؤدون مايلزمهم فيه من إكرام اليتيم بالتفقد والمبرة وحض أهله على طعام المسكين

---

(٦٥) التفسير الكبير ٣١/٩٤ ـ ٩٦ ، وارشاد العقل السليم ٥/٨٤٧ والفتوحات الالهية للجمل ٥/٥٥٤ وجامع البيان للطبرى ٣٠/٦٢ ـ ٦٤ وغرائب القرآن على هامشه ٣٠/٤٨ ، ٤٩ والجامع لاحكام القرآن ٩/٧٠٥٠ ٧٠٥٢ ، والكشاف ٤/٢٣١ ، ٢٣٢ ، والبحر المحيط ٨/٤٤٠ ، ٤٤١ .

(٦٦) الآيات ١٥ ـ ١٧ .

ويأكلون أكل الأنعـام ويجمعون فى أكلهم بين نصيبهم من الميراث ونصيب غيرهم ...(٦٧) .

وفى الآية إلتفات من الغيبة الى الخطاب اشعارا باقتضاء ملاحظة جنايته السابقة لمشافهته بالتوبيخ تشديدا للتقريع وتأكيدا للتشنيع . وصيغة الجمع باعتبار معنى الانسان اذا المراد جنس الانسان الكافر .

١٣ ـ موضع سورة الهمزة قوله تعالى : « يحسب أن ماله أخلده كلا لينبذن فى الحطمة » (٦٨) من يقرأ أول السورة : ويل لكل همزة لمزة . الذى جمع مالا وعدده « يثار فى نفسه سؤال كأنه قيل : ما باله يجمع المال ويهتم به ؟ فيأتى قوله : « يحسب ... » جوابا عن هذا السؤال إستئنافا بيانيا . أو جملة « يحسب ... » تعرب حالا من فاعل جمع والماضى « أخلده » بمعنى المضارع « يخلده » والمعنى : يظن لجهله أن ماله يخلده أى يوصله الى رتبة الخلود فى الدنيا فيصير خالدا فيها فلا يموت أو يعمل فى الدنيا عمل من يظن أن ماله أبقاه حيا . وقيل ان فيه تعريضا بالعمل الصالح وأنه هو الذى أخلد صاحبه فى النعيم فأما المال فما أخلد أحدا فيه .

فالمعنى المردود : ما يحسبه من أن ماله يخلده . وتأتى « كلا » ردعا عن هذا الزعم وزجرا متضمنة النفى أى : ليس الأمر كما ظن أن ماله يخلده فى الدنيا وليس ردعا عن همزة لمزة لبعده لفظا ومعنى ويستأنف الكلام بعدها لبيان علة الردع

---

(٦٧) الكشاف ٤/٢٥٢ ، ٢٥٣ ، والفتوحات الالهية للجمل ٤/٥٣٢ـ ٥٣٤ ، والجامع لاحكام القرآن ٩/٧١٤١ ـ ٧١٤٤ وارشاد العقل السليم ٨٧٠/• ، والتفسير الكبير ٣١/١٧٠ ـ ١٧٣ ، والبحر المحيط ٨/٤٧٠ ، ٤٧١ وغيرها .

(٦٨) الآيتان : ٣ ، ٤

والرد وهو قوله تعالى : « لينبذن فى الحطمة » والمعنى : والله لينبذن أى ليطرحن بسبب تعاطيه للأفعال المذكورة فى النار التى من شأنها أن تحطم وتكسر كل ما يلقى فيها جزاء اكسره أعراض الناس وجمعه المال ... (٦٩) .

هذه هى المواضع التى يحسن فيها الوقف على « كلا » ويكون معناها الردع والزجر متضمنة النفى وأنت ترى أنها تكون ردا لقضايا خاطئة يستحق أصحابها عليها الردع والزجر ثم تثبت ضده مع بيان السبب والعلة فيما يأتى بعدها من كلام مستأنف استئنافا بيانيا حيث يكون جوابا عن سؤال اثارته « كلا » بما تحمله من معانى الردع والرد والزجر .

## المقام الثانى - مقام التنبيه والاستفتاح :

هذا هو المقام الثانى من مقامات « كلا » وهو مقام التنبيه والإستفتاح أى : تأتى بمعنى « ألا » التنبيهية الاستفتاحية .

ومعنى إفادة « ألا » التنبيه : أن تنبه المخاطب على ما تحدثه به . ولا يوجد تنبيه إلا إذا كان الأمر الذى تريد أن تتحدث عنه ذا أهمية بالنسبة إلى المخاطب حتى لا يفوته المقصود نتيجة غفلته .

ومعنى إفادتها الإستفتاح : أن مكانها ابتداء الكلام وافتتاحه . فالتنبيه معناها والإفتتاح مكانها وفائدتها : تحقيق ما بعدها ويستفاد التحقيق من جهتين الجهة الأولى : يستفاد التحقيق من التنبيه . والجهة الثانية : من جهة

---

(٦٩) الفتوحات الالهية للجمل ٤/ ٥٨٥ وارشاد العقل السليم ٥/ ٩٠٢ والكشاف ٤/ ٢٨٣ ، ٢٨٤ والبحر المحيط ٨/ ٥١٠ وغيرها .

تركيبها من همـزة الاستفهام الإنكارى المفيدة للنفى و « لا » النافية . فجاء الثبوت بطريق اللزوم لأنه يلزم من نفى النفى ووجود نقيضه وهو الثبوت كدعوى الشيء ببينة وبذلك أفادت التحقيق أى : توكيد الإثبات لأن نفى النفى يفيد الاثبـات الدائم اللازم . ولكنها بعد التركيب صارت كلمة تنبيه تدخل على ما لا تدخل عليه « لا » من الجمل بأنواعها المتعددة طلبية وخبرية . ونظرا لإفادتها التحقيق أى توكيد الاثبات بهـذه الكيفية ـ كما يقول الزمخشرى ـ لا تكاد تقع الجملة بعـدها إلا مصدرة بنحو ما يصلح جوابا للقسـم من مقدمات اليمين وطلائعه (٧٠) .

و « كلا » تأخذ خصائص « ألا » هذه فتفيد ما تفيده من التنبيه والاستفتاح وما تتضمنه من التحقيق أى تأكيد الإثبات وذلك عند الابتداء بها والوقوف على ما قبلها ولا يقصد بهـا معنى الردع والرد .

ويحسن الابتداء بـ « كلا » وتفيد التنبيه والإستفتاح فى مواضـع من القرآن الكريم كانت فيها تنبيها إلى قضـايا إيمانية خطيرة تزيد المؤمن ايمانا بها وتواجه إنكار الكافر وتزلزل ما فى قلبه من شك وعناد وإليك هذه المواضع .

١ ـ موضع فى سـورة المدثر قوله تعـالى : « كلا » إنه تذكرة » (٧١) .

---

(٧٠) مغنى اللبيب مع حاشية الدسوقى ١/ ٧٢،٧٣ ، والأنموذج فى النحو بشرح الأردبيلى تحقيـق د. حسنى عبد الجليل يوسف ١٩٢ مكتبة الاداب ط ١٩٩٠م ، وشرح الكافية للرضى ٢/ ٣٨٠ ، والجنى الدانى ٣٨١. والأدوات المفيدة للتنبيه فى كلام العرب د. فتح الله صالح المصرى ٩٣ ـ ١٢٦ ، ١٨٤ ـ ١٨٨ ـ دار الوفاء للطباعة بالمنصورة ط اولى ١٩٨٧م .

(٧١) الآية ٥٤ .

بعد أن بين الله تعالى أن إعراض هؤلاء المشركين ليس بامتناع اتيان الصحف بل بعدم خوفهم من الآخرة يستأنف الكلام لينبه العقول ويلفت النظر إلى حقيقة القرآن فقال تعالى « كلا إنه تذكرة » أى القرآن أو التذكرة فى قوله تعالى : «فمالهم عن التذكرة معرضين » وذكر لأنه بمعنى القرآن أو الذكر . فالقرآن تذكرة لما فيه من التذكير والانذار والتحذير. والقرآن ليس سوى تذكرة لهؤلاء المكذبين « تذكرهم بما يجب عليهم من الايمان بالله وترك عبادة الأصنام وتنذرهم إن كذبوا واستكبروا عذاب يوم عظيم » فالآية تؤكد لهم أمر القرآن والوحى الذى أعرضوا عنه وأنه ليس سوى « تذكرة وإرشاد للبشر ليس له وصف غير ذلك : فما هو سحر يؤثر ولا قول البشر كما زعموا فلماذا يعرضون عنه ويتشاءمون به ويرتابون فى نصحه ولم يطلب منهم محمد صلى الله عليه وسلم عليه أجرا ولا كلفهم عطاء أو منصبا ... فهو محض خير لهم وكل نفعه عائد عليهم » (٧٢) .

٢ - موضع فى سورة عبس قوله تعالى : « كلا إنها تذكرة » (٧٣) .

بعد ما ذكر من آيات العتاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم تأتى الآية إستئنافا بيانيا جوابا عن سؤال أثاره العتاب السابق وهو : كيف يكون العمل فى دعوة صناديد قريش إذا لم يتفرغ لهم لئلا ينفروا عن التدبر فى القرآن أو يثير فى نفسه صلى الله عليه وسلم مخافة شائبة التقصير فى شىء من واجب التبليغ فيكون الجواب : إن هذه الموعظة

---

(٧٢) تفسير جزء تبارك للشيخ عبد القادر المغربى ١٠٤ ط دار الشعب ١٩٥٧م ، وروح المعانى ٢٩/١١٩ .
(٧٣) الآية ١١ .

تذكرة لك وتنبيه لما غفلت عنـــه وليست ملاما وإنما يعاتب الحبيب حبيبه (٧٤) .

مبالغة فى إرشاده صلى الله عليه وسلم الى عدم معاودة ما عوتب عليه إرشادا بليغا الى ترك المعاتب عليه ... فقد روى أنه صلى الله عليه وسلم بعد ما عبس فى وجه فقير ولا تصدى لغنى وقد تأدب الناس بذلك آدبا عظيما فقـد ورد أن الفقراء كانوا فى مجلسه صلى الله عليه وسلم أمراء (٧٥) .

وقيل الضمير فى قوله : « إنها » للقرآن ويكون المعنى كما فى الموضع السابق فأفادت علو رتبة القرآن الكريم ترغيبا فى الاتعاظ به .

٣ ـ الموضع الأول من سورة المطففين قوله تعالى : « كلا إن كتاب الفجار لفى سجين » (٧٦) .

بعـد الحـديث عـن المطففين وبيـان خسيس أفعالهم وتحذيرهم بالدعاء عليهم بالويل ثم التذكير بيوم الحسـاب بـوم يقـوم الناس لرب العالمين ثم يستأنف الكلام بقوله : «كلا» تنبيها إلى أنه لا يقوم على هـذه الحالة حالة التطفيف وما يماثلها من منكرات إلا منكر ليوم الحسـاب وأن هؤلاء مدرورون يعدون بعملهم هذا من الفجار يحاسبون على أعمالهم لايغفل منها شىء فإن لهم كتابا تحصى فيه أعمالهم واسم هذا الكتاب سجين وهو مرقوم أثبتت فيـه العـلامات الدالة على الأعمال وفى التعبير بـ « سجين » إشارة الى معنى التسفل فقد

---

(٧٤) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ٣٠/١١٤ ، ١١٥ الدار التونسية للنشر .
(٧٥) روح المعانى ٣٠/٥٢ ، ٥٣ .
(٧٦) الآية ٧ .

قيل ان من معانيه الوحل فكأن الآية تصوير وتمثيل أى : إن أعمال الفجار « لخبثها تصور وتمثل كأنها مكتوبة به ويكون معنى كون الوحل أو ما يقاربه كتابا مرقوماً أن الأعمال بعد أن خطت به صار ذلك المداد القبيح كتابا مرقوما » (٧٧) . ومأعليه الأكثر : أن « سجين » علم لكتاب جامع وهو ديوان الشر دون فيه أعمال الفجرة من الثقلين وأن الفجار ما يعم الكفار والفسقة فيدخل فيهم المطففون (٧٨) .

٤ ـ الموضع الثانى فى سورة المطففين قوله تعالى : «كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون » (٧٩) .

تنبيه آخر يبين فيه القرآن أن هؤلاء الذين رانت على قلوبهم الذنوب فعميت يكونون فى موقف الهوان يوم القيامة إشتملت الآية ومعطوفيها ثلاثة أنواع من التويل :

١ ـ الإهانة فى قوله : « إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون »

٢ ـ العذاب فى قوله : « ثم إنهم لصالوا الجحيم » .

٣ ـ التقريع مع التيئيس من الخلاص فى قوله : « ثم يقال هذا الذى كنتم به تكذبون »(٨٠) .

ومعنى « عن ربهم يومئذ لمحجوبون » : لا يرون الله تعالى وهو سبحانه وتعالى حاضر ناظر اليهم بخلاف المؤمنين ... فالحجاب مجاز عن عدم الرؤية لأن المحجوب لا يرى ما حجب

---

(٧٧) تفسير جزء عم للامام محمد عبده ٩٢ ، ٩٣ .
(٧٨) روح المعانى ٣٠/٩١ .
(٧٩) الآية ١٥ .
(٨٠) التحرير والتنوير ٣٠/٢٠٠ ، ٢٠١ .

وقيل : الحجب المنع فيكون الكلام على تقدير مضاف أى : عن رؤية ربهم لمذوعون ... ومن منـــع الرؤية قال : إن الكلام تمثيـــل للإستخفاف بهم وإهانتهم لأنه لا يؤذن على الملوك إلا للوجهاء المكرمين لديهم ولا يحجب عنهم إلا الأدنياء المهانون عندهم ... والتنوين فى « يومئذ » عوض عن محذوف والتقدير: يوم إذ يقوم الناس لرب العالمين (٨١) .

٥ ـ الموضع الثالث فى سورة المطففين قوله تعالى : «كلا إن كتاب الأبرار لفى عليين » .

«كلا تنبيه يفتتح به الكلام ليبين حال كتاب الأبرار ليعقب بوعدهم كما ذكر كتاب الفجار وعقب بوعيدهم وفى ذلك دلالة على أن التطفيف فجور والإيفاء بر (٨٢) . والجملة فى مضمونها قسيم لمضمون قوله : « كلا إن الفجار لفى سجين » فتحصـــل مقابلة وعيد الفجار بوعـــد الأبرار جريا على عادة القرآن فى تعقيب الإنذار بالتبشير والعكس ترغيبا وترهيبا ففى ذكر نعيم الأبرار محســـن بديعى يسمى الإدماج (٨٣) دعت اليه المناسبة وان كان المقام من أول السورة للانذار و « عليون » علم على مكان الأبـــرار فى الجنـــة ... واشتقاقه مـــن العلو الإعتبارى أى : رفعة فى مراتب الشرف والفضل ، وجاء على صيغة جمع المذكر التى تجمع بها أسـماء العقـــلاء وصفاتهم إتماما لشرف المعنى باستعارة العلو وشرف النوع بإعطائه صيغة التذكير (٨٤) .

---

(٨١) روح المعانى ٣٠/٩٣ ، ٩٤ .
(٨٢) المرجع السابق ٣٠/٩٤ .
(٨٣) الادماج هو : أن يضمن كلام سيق لمعنى معنى آخر .. انظر شروح التلخيص ٤/٣٩٨ ـ ٤٠٠ .
(٨٤) التحرير والتنوير ٣٠/٢٠٢ ، ٢٠٣ .

٦ ـ موضع فى سورة العلق قوله تعالى : « كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى » (٨٥) ٠

الآيات السابقة من أول السورة الى هذه الآية تدل على أن الله هو الخالق دون غيره وأنه تعالى خلق الانسان الحى الناطق مما لا حياة فيه ولا شكل ولا صورة ٠ وعلمه أفضل علم وهو الكتابة ووهبه العلم ولم يكن يعلم شيئا ٠ فالانسان وما يملكه هبة منه ٠ ثم يستأنف الكلام منبها على حقيقة خطيرة لابد أن يلفت إليها الانسان (٨٦) ٠

والأظهر أن هذه الآية وما بعدها نزل فى شأن أبى جهل ومع ذلك فالمراد بالانسان الجنس باعتبار الأغلب من أفراده والمعنى : تنبيه الى أن الانسان مع كمال فقره الى خالقه وظهور عجزه وأن ربه مالك أمره يطغى ويخرج عن الحد الذى رسم له ويستكبر عن الخشوع لربه ويتطاول بالأذى على خلقه ٠ و « أن رآه استغنى » مفعول لأجله والمعنى : يطغى لأن رأى نفسه مستغنيا و«رأى» قيل : إنها علمية وجملة «استغنى» فى محل نصب مفعول ثان وتعليل طغيانه برؤيته لا بنفس الاستغناء مما يدل على أن مدار طغيانه زعمه الفاسد ٠ وقيل: إنها بصرية وجملة « استغنى » فى موضع نصب حال وتعليل طغيانه بمجرد رؤيته ظاهر الحال من غير روية وتأمل فى حقيقته (٨٧) ٠

والتأكيد بـ « كلا » ، وان « واللام زيادة فى تحقيق الخبر لغرابته حتى كأنه مما يتوقع أن يشك السامع فيه والسين

---

(٨٥) الآية ٦ ، ٧ ٠
(٨٦) تفسير جزء عم للامام محمد عبده ١٩٠/١٩١ ٠
(٨٧) روح المعانى ٣٠/٢٣٣ ٠

والتاء فى « الاستغناء » للمبالغة فى حصول الفعل ٠

يقول الطاهر بن عاشور : « وعلة هذا الخلق أن الاستغناء نحدث صاحبه نفسه بأنه غير محتاج الى غيره وأن غيره محتاج فيرى نفسه أعظم من أهل الحاجة ولا يزال ذلك التوهم يربو فى نفسه حتى يصير خلقا حيث لا وازع يزعه من دين أو تفكير صحيح فيطغى على الناس لشعوره بأنه لا يخاف بأسهم لأن له ما يدفع به الاعتداء من لامة سلاح وخدم وأعوان وعفاة ومنتفعين بماله من شركاء وعمال وأجراء فهو فى عزة عند نفسه فقد بينت هذه الآية حقيقة نفسية عظيمة من الأخلاق وعلم النفس ونبهت على الحذر من تغلغلها فى النفس »(٨٨) ٠

**المقام الثالث : مقام تحقيق ما بعدها « بمعنى حقا » :**

« حقا » من المصادر التى حذف عاملها وجوبا من « حق » إذا ثبت ٠ قيل : انه تأكيد لفظى لأنه بمنزلة تكرير العامل والأرجح أنه تأكيد معنوى لأنه لإزالة الشك ورفع توهم المجاز عن المحدث ٠ وهو مؤكد لمضمون جملة قبله أى : ما وقع بعد جملة تحتمل معناه وغيره بمعنى أن مفهوم الجملة يتطرق اليه الاحتمال الذى يزول بالمصدر ٠ كأن تقول : زيد ابنى حقا فقولك : زيد ابنى يحتملَ الحقيقة والمجاز وجاز أن يكون إخبارك عن يقين منك وتحقيق وجاز أن يكون على شك فأكدته بقولك : حقا ٠ فصارت الجملة نصا فى الحقيقة أى : بنوة زيد لك حقيقة لا شك فيها ونفيت المجاز وأثبتت الحقيقة وأزلت الشك وأثبت اليقين ٠ وهو مؤكد لغيره لأنه ليس بمنزلة تكرير

---

(٨٨) التحرير والتنوير ٣٠/٤٤٤ ، ٤٤٥ ٠

الجملة فهو غيـــرها لفظا ومعنى لأنه مؤثر والمؤكد به متأثر والمؤثر غير المتأثر .

و « حقا » لا يجوز تقديمه على الجملة المؤكدة لها لأنه أشبه ما العامل فيه معنى الفعل فلم يجز تقديمه ... وأجاز قـوم تقديمـه ومنهم سيبويه . وأوله المانعون بأن « حقـا » عنـد التقديم منصوب على الظرف لا المصدر وأصل « حقا » فى حق أسقط حرف الجر توسـعا ونصبوها على اعتبارها متضمنة معناه . وقالوا : انها لفظ مسموع بالنصب جرى مجرى ظرف الزمان والظرفية فيه مجازية وهو مع ذلك يفيد إزالة الشـك ويرفع الاحتمال - أيضا - وبناء على ذلك اذا ادخلت « حقا » على جملة مصدرة بـ « إن » وجب فتح همزتها لأن الجملة حينئذ تنسبك مع معموليها بمصدر يعرب مبتدأ مؤخرا و « حقـا » خبر مقدم يقول سيبويه : « وسألت الخليل عن قوله : أحق إنك لذاهب فقـال : لا يجوز كما لا يجـوز : يوم الجمعة إنه لذاهب » (٨٩) .

وبناء على ذلك لا يجوز أن تحمل « كلا » على معنى «حقا» إذا كان بعدها جمل مبدوءة بـ « إن » مكسورة الهمزة كما فى مواضـع مقـام التنبيه لأنه يلزم حينئذ فتـح همـزة « ان » ولم يقرأ به أحد (٩٠) وذلك بعكس مقام التنبيه لأن « ألا »

---

(٨٩) انظر : شرح التصريح مع حاشية الشيخ يس ١/ ٣٣٣ ، والكتاب لسيبويه تحقيق عبد السلام هارون ٣/ ١٢٤ -- ١٣٦ ، ١٤٩ الهيئة العامة للتأليف والنشر ط ١٩٧١م ، وشرح المفصل لابن يعيش ١/ ١١٦ ، ١١٧ عالم الكتب ، همع الهوامع ١/ ١٩٢ ، ١٩٣ ، وشرح الكافية للرضى ١/ ١٢٣/ ١٢٤ واللنحو الوافى عباس حسـن ١/ ٦٤٧ ، ٢/ ٢٧٣ - دار المعارف ط تاسعة ، والمقتضب للمبرد تحقيق محمـد عبـد الخالق عضيمة ٣/ ٢٣٣ ، ٢٦٦ ، ٢٧٧ المجلس الأعلى للشئو نالاسلامية ط ١٩٨١م .

(٩٠) شرح كلا ٥٥ .

لا تخرج « إن » عن صدارتها وتكون « إن » فى أول جملتها حكما و « ألا » حرف يدل على بدء الكلام وعرض جملة جديدة والتنبيه على أن هذا الكلام هام ومؤكد عند المتكلم ـ كما سبق ٠

« كلا » حينما تكون بمعنى « حقا » فانها تفيد فائدتين :

الفائدة الأولى : ترفع الاحتمال عما بعدها من معان وتجعلها نصا فى الحقيقة بعد أن ترفع عنها احتمال المجاز ٠

الفائدة الثانية : تزيل الشك عما بعدها من معان وتثبت أنها على سبيل اليقين ٠

ويحسن أن تكون « كلا » بمعنى « حقا » فى مواضع ثمانية ذكرت مواضعها سابقا وأعود اليها تفصيلا هنا ٠ وأنا فى ذلك مقتد بمكى بن أبى طالب القيسى وذلك لأنه إمام حجة فى القراءات وعلوم القرآن وتآليفه تشهد له بسبقه وتقدمه عالم فى الرواية ومعرفة المناسبة وأسباب النزول والناسخ والمنسوخ ٠ ومتمكن من اللغة ونصوصها عارف بمدلولاتها بدليل تآليفه فى غريب القرآن وشاذ القراءات ومشكل الاعراب. وأسلوبه يدل على أدبه ويكشف عن ذوق فنى لماح ونظر دقيق كاشف عما بين أجزاء النص من علاقات مرجحا ومعللا قاصدا إفادة القارىء والدارس ٠ واذا أردت أن تستوثق من كلامى هذا فارجع الى كتابه : « الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها » (٩١) ٠

وبتأمل هذه المواضع تجد الحسن بالغا فى تمام المعنى وقوته عندما يراد بـ « كلا معنى « حقا » فتؤدى وظيفتها فى

---

(٩١) انظر مقدمة الكتاب للدكتور محيى الدين رمضان ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ط رابعة ١٩٨٧م ٠

أن تجعل المعانى التى تجىء بعدها نصــا فى الحقيقة برفع التجوز عنها وازالة الشك باثبات أنها يقين وتجد ذلك ماثلا فى هذه المواضع :

فبعضها يراد منه تقوية قلب النبى صلى الله عليه وسلم وتثبيت فؤاده بالوقوف على الحقيقة التى لا مراء فيها وهى تيقن نصرة دين الله وأن عاقبة أعدائه الهلاك والخسران والنبى صلى الله عليه وسلم ليس غافلا فيحتاج الى تنبيه أو منكر فيحتاج الى ردع • وذلك فى المواضع الآتية :

قوله تعالى : « كلا سيعلمون » وقوله تعالى : « كلا سوف يعلمون » •

وقوله تعالى : « كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية » وقوله تعالى : « كلا لا تطعه واسجد واقترب » أو تحقق الاضراب الذى تفيده « بل » فى قــوله تعــالى : « كلا بل تحبــون العاجلة وتذرون الآخرة » وفى قوله تعالى : « كلا بل تكذبون بالدين » •

أو تحقق حالة الاحتضار التى تتكرر وتشاهد فى الحبيب والعدو والقريب والبعيد وهى حالة لا تحتاج الى تنبيه لأنها ماثلة فى كيان الانسان لا يتمكن من الغفلة ••• كما فى قوله تعالى : « كلاَّ إذا بلغت التراقى وقيل من راق » •

أو تحقق ما تفيده « لا » النافية للجنس التى تنفى الجنس على سبيل التنصيص كما فى قوله تعالى : « كلا لا وزر •••» •

وإليك عرض هذه المواضع على الصفحات التالية :

١ ـ الموضع الأول فى سورة القيامة قوله تعالى : « كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة »(٩٢) ٠

بعد تمام الوحى بتعليمه ـ صلى الله عليه وسلم ـ كيف يفعل حين إلقاء الوحى إليه تعود الآيات الى الحديث مع المخاطبين المكذبين بكلام لف فيه ما كان عاتب عليه النبى صلى الله عليه وسلم من أجله ونهاه عنه فقال تعالى : « كلا » تحقيق لما بعدها من أن ماعليه البشر من العجلة وحب التسرع فى الوصول الى أغراضهم خلق عام شامل لجميع الأفراد حتى من كان منهم فى أعلى درجات الكمال وأعظم مراتب العصمة وهو رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فانه لم يخل من عجلة فى بعض أحواله فقال تعالى : « بل » اضراب ابطالى أى: أنتم أيها المكذبون لم تكذبوا بالوحى إيثارا للحق بل تكذيبكم به نتيجة فرط حبكم الدنيا العاجلة الفانية بإيثار ملذاتها « وتذرون الآخرة » يوم القيامة بالاعراض عن الأعمال الصالحة المؤدية إلى السعادة فيها فذلك بمقتضى فطركم وطباعكم التى غرز فيها العجل هذا خطاب للمكذبين صريح بنص العبارة ويفهم منه بطريق التعريض والاشارة خطابا للنبى صلى الله عليه وسلم فكأنه تعالى قال : يا محمد من حرصك على الآيات الآمرة بالفضائل تعجل بتحريك لسانك بها وتنسى ما وعدك ربك من أن الآخرة لك وذلك لا يتم إلا بحفظك القرآن وإستظهار آياته كلها دون نقصان تنفيرا من عادة العجلة وترغيبا فى الأناة ٠

ولكن البون شاسع بين عجل المكذبين وعجل الرسول صلى الله عليه وسلم ـ فعجل المكذبين فى الشر وسىء الأعمال والحرص المذموم وعجله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى الخير

---

(٩٢) الآيتان ٢٠ ، ٢١ ٠

والعمل الصالح والحرص المحمود ومع هذا فقد نهى الرسول عنه وعوتب عليه .

ومن ذلك يفهم أن هؤلاء المكذبين دينهم حب العاجلة وطلب الردى كأنهم نزلوا منزلة من لا ينجع فيهم النهى (٩٣) .

يقول مكى : « وكونها بمعنى حقا هنا أحسن ليؤكد بها ما أخبر الله عن عباده من محبتهم للدنيا وزهدهم فى الآخرة وذلك صحيح فى كل الخلق إلا من عصمه الله ووفقه »(٩٤) .

٢ ـ الموضع الثانى فى سورة القيامة قوله تعالى : « كلا إذا بلغت التراقى وقيل من راق »(٩٥) .

تستأنف الآيات لتحقيق قضية خطيرة قد يغفل عنها هؤلاء المكذبون تذكرهم بما ينزل من أهوال عند الموت الذى ينقطع عنده ما بينكم وبين الدنيا العاجلة من العلاقة قال تعالى : « كلا » إذا بلغت الروح التراقى . فالضمير يرجع الى الروح وان لم يجر لها ذكر فقد دل عليه سياق الكلام وهذا الاضمار معهود فى كلام العرب . والتراقى : أعالى الصدور وهى العظام المكتنفة ثغرة النحر عن يمين وشمال والآية كناية عن مشارفة الموت وظهور أماراته ثم بين حال من يحضر صاحب الروح الذين يقولون من يرقيه وينجيه مما هو فيه . والمراد بالراقى الطبيب مطلقا باعتبار أن الطبيب قديما كان يمارس ـ أحيانا ـ الطب والكهانة والأعمال الدينية فى آن واحد وعلى ذلك فالأظهر أن يراد عموم الطبيب فيمثل طب

---

(٩٣) تفسير جزء تبارك للشيخ عبد القادر المغربى ١١٠ ، وروح المعانى ٢٩/١٧٩ .
(٩٤) شرح كلا ٤٥ .
(٩٥) الآيتان ٢٦ ، ٢٧ .

القول وطب الفعل وقيل : الاستفهام مرادا به الاستبعاد والانكار آى بلغ مبلغا لا أحد يرقيه ... ثم يبين الله تعالى حال المحتضر فى قوله : « وظن أنه الفراق والتفت الساق بالساق» ثم يبين أن الأمور كلها صائرة اليه تعالى فقال : « الى ربك يومئذ المساق » ..

وبالتأمل نجد «كلا» حسن وقوعها بمعنى حقا حيث قد حققت هذه الحالة وأكدتها ورفعت عنها مايحتمل التجوز وأنها حقيقة مقررة تؤكد حالة ما يعانيه المحتضر من شدائد وتحقق حالة أهله وذويه عند مشاهدة الاحتضار وخروج الروح (٩٦) .

٣ ـ موضع فى سورة النبأ قوله تعالى : « كلا سيعلمون »(٩٧) .

أثار المشركون عدة تساؤلات حول رسالة النبى صلى الله عليه وسلم وعن دعوته الى التوحيد والايمان والاعتقاد فى اليوم الآخر فبكتهم الله تعالى بقوله : « عم يتساءلون » أى . عن أى شىء يتساءلون . جاء الضمير ولم يتقدم له مرجع ولكن المقام يحدده وهو المشركون وفى حذفه اشارة الى أنهم كالنحس الذى يصان منه اللسا نثم بين منشأ هذا التساؤل وهو «عن النبأ العظيم الذى هم فيه مختلفون » بيان يعد إبهام لإفادة تفخيم شأن المسئول عنه وتوجيه أذهان السامعين اليه . ودل الاستفهام على أن العلم بالمسئول عنه خارج عن علم البشر فلذا يجب أن يسأل عنه ويقف المرء على حقيقته ...

فتأتى « كلا » ويحسن فيها أن تكون بمعنى حقا لتؤكد

---

(٩٦) تفسير جزء تبارك ١١٢ ، ١١٣ وروح المعانى ١٨٤/٢٩ ، ١٨٥ .

(٩٧) الآية : ٤

الوعيد لهؤلاء المتسائلين وتقرر لهم الحقيقة التى ستنكشف لهم يقول مكى : « وكونها على معنى « حقا » أحسن ليؤكد بها وقوع العلم منهم ويحقق بها لفظ التهدد الذى تضمنه الخطاب »(٩٨) والوعيد فى قوله تعالى : « سيعلمون » تحقيق بأنهم سيوقنون بوقوعه ويعاقبون على انكاره فهما علمان يحصلان لهم بعد الموت : علم بحق وقوع البعث وعلم فى العقاب عليه ومن أجل ذلك حذف المفعول ليعم المعلومين والسين أفادت تقريب المستقبل ٠٠٠(٩٩) ٠

٤ ــ موضع فى سورة التكاثر قوله تعالى : « كلا سوف تعلمون »(١٠٠)٠

سورة التكاثر اشتملت على التوبيخ على اللهو عن النظر فى دلائل القرآن ودعوة التوحيد ٠٠٠ وحث على التدبر فيما ينجيهم من النار وتأكيد على البعث للحساب والسؤال ٠ وقوله : « كلا » تحقيق لهذا الوعيد ٠ على نحو ما عرفت فى قوله تعالى : « كلا سيعلمون »(١٠١) ٠

٥ ــ الموضع الأول فى سورة العلق قوله تعالى : « كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية ناصية كاذبة خاطئة»(١٠٢) ٠

« كلا » تحقيق للوعيد استدعاه المقام تشويقا الى ماهية هذا الوعيد ثم قال تعالى : « لئن لم ينته لنسفعا بالناصية » اللام موطئة للقسم وقوله : « لنسفعن » جواب القسم وجواب

---

(٩٨) شرح كلا ٤٨ ٠
(٩٩) التحرير والتنوير ٣٠/١١ ، ١٢ وروح المعانى ٣٠/٥ ٠
(١٠٠) الآية ٣ ٠
(١٠١) التحرير والتنوير ٣٠/٢١٨ ــ ٢٢١ وروح المعانى ٣٠/٢٨٧٠
(١٠٢) الآيتان ١٥ ، ١٦ ٠

الشرط محذوف دل عليه جواب القسم · ومعنى لنسفعن : لنأخذن بناصيته ولنسحبنه بها الى النار يوم القيامة وعبر بالسفع اشارة الى القبض الشديد بجذب · وخص الأخذ بالناصية لأنه أخذ من لا يترك له تمكن من الانفلات كناية عن أخذه الى العذاب وفيه غاية الاذلال لأنهم كانوا لا يقبضون على شعر ناصية أحد إلا لضربه أو جره وزاد الامر تأكيدا بذكر با، الالصاق فى المفعول لتأكيد اللصوق ·

والمراد بالناصية أبى جهل المفهوم من قوله تعالى : « أرأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى » · ثم بين جنس الناصية بذكر النكرة الموصوفة « ناصية كاذبة خاطئة » · واسناد الكذب والخطأ الى الناصية اسناد مجازى أى مجاز عقلى من اسناد ما للكل الى الجزء ليفيد المبالغة « حيث يدل على وصفه بالكذب والخطأ بطريق الأولى ويفيد أنه لشدة كذبه وخطئه كأن كل جزء من أجزائه يكذب ويخطأ » وفيه تخييل بأن الكذب والخطأ باديان من ناصيته فكانت جديرة بالسفع(١٠٣) ·

٦ – ويأتى الموضع الأخير فى سورة العلق قوله تعالى . « كلا لا تطعه واسجد واقترب »(١٠٤) ·

تأتى « كلا » تحقق عدم طاعة هذا الطاغى وأن يتقرب النبى الى ربه بالطاعة وبخاصة السجود ولا يبتعد عنه بتركها ·

يقول تعالى : « لا تطعه » نهى موجه الى النبى صلى الله عليه وسلم مع أن عدم طاعته حاصلة لأن المراد دم على ما أنت عليه من معاصاته · وهى فذلكة للكلام المتقدم من قوله تعالى:

---

(١٠٣) روح المعانى ٢٣٩/٣٠ ، ٢٤٠ والتحرير والتنوير ٤٥٢/٣٠ ·
(١٠٤) الآية ١٩ ·

« أرأيت الذى ينهى عبد إذا صلى » والمعنى : لا تترك صلاتك فى المسجد الحرام ولا تخش منه . والأصل : لا تحذره فانه لا يضرك عبر عن الحذر بالطاعة مجازا مرسلا علاقته السببية ثم عطف عليه قوله : « واسجد » أى : واظب على سجودك غير مكترث به والمراد بالسجود ظاهره أو المراد به الصلاة مجازا مرسلا لعلاقة الجزئية وعطف على قوله : « لا تطعه » إهتماما بالصلاة ثم عطف عليه قوله : « واقترب » للاشارة الى أن الصلاة بما تحمله من مرضاة الله تعالى تجعل العبد قريبا من ربه وصيغة الافتعال تدل على معنى التطلب وبذل الجهد والمعنى : اجتهد فى القرب الى الله تعالى بالصلاة ..(١٠٥).

٧ ـ موضع فى سورة الانفطار قوله تعالى : « كلا بل تكذبون بالدين »(١٠٦) .

« كلا » يحسن فيها أن تكون بمعنى حقا تحقق ما بعدها وتقرره وتفيد تقييد تأييد تكذيبهم بالدين وهو الجزاء فى الآخرة (١٠٧) و « بل » اضرابا ابطاليا وما بعدها توضيح « لما جرأهم على الاشراك وأنه ليس غرورا اذ لا شبهة لهم فى الاشراك حتى تكون الشبهة كالغرور ولكنهم أصروا على الاشراك لأنهم حسبوا أنفسهم فى مأمن من تبعته فاختاروا الاستمرار عليه لأنه هوى أنفسهم ولم يعبأوا بأنه باطل صراح فهم يكذبون بالجزاء فذلك سبب تصميم جميعهم على الشرك مع تفاوت مداركهم التى لا يخفى على بعضها بطلان كون الحجارة الآلهة ألا ترى أنهم ما كانوا يرون العذاب إلا عذاب الدنيا » فالمراد ليس هنا مقتض لغرورهم ولكن تكذيبهم حملهم

---

(١٠٥) التحرير والتنوير ٣٠/٤٥٣ وروح المعانى ٣٠/٢٤٠ ، ٢٤١.
(١٠٦) الآية ٩ .
(١٠٧) شرح كلا ٥٣ .

على ما ارتكبوه فكلا حققت ما أفادته « بل » وجاء التعبير بالمضارع ليحقق فائدتين : الفائدة الأولى : افادة أن تكذيبهم متجدد لا يقلعون عنه وهو سبب استمرار كفرهم والفائدة الثانية : استحضار حالة تكذيبهم ليثير التعجيب من هذا التكذيب ٠٠٠(١٠٨) ٠

٨ ـ موضع فى سورة القيامة قوله تعالى : « يقول الانسان يومئذ أين المفر كلا لا وزر »(١٠٩) ٠

حين تنتهى الآيات السابقة ببيان أن الكافر يطلب عند المعاينة المفر ويتمناه يستأنف الكلام بـ «كلا» تحقيقا لما بعدها وتأكيدا لحقيقة لا مفر منها وهى قوله تعالى : « لا وزر » أى لا ملجأ وأصله للجبل المنيع وقد كان مفرا فى الغالب لفرار العرب واشتقاقه من الوزر وهو الثقل ثم صار حقيقة لكل ماجأ من جبل أو حصن أو سلاح أو رجل أو غير ذلك فاليه تعالى وحده استقرار العباد لا ملجأ ولا منجى لهم غيره تعالى حيث يقول : « الى ربك يومئذ المستقر » فتقديم الخبر لافادة الاختصاص ٠ وقوله تعالى : « كلا لا وزر الى ربك يومئذ المستقر » يحتمل أن يكون من كلام الله تعالى يقال للقائل : أين المفر ؟ (١١٠) ٠

يقول مكى : « وكونها بمعنى ( حقا ) أمكن وأبلغ فى المعنى لأنها تكون تأكيدا لعدم الملجأ من الله يوم القيامة« (١١١) ٠

---

(١٠٨) التحرير والتنوير ١٧٨/٣٠ ، ١٧٩ وروح المعانى ٨٢/٣٠ ، ٨٣ ٠

(١٠٩) الآيتان ١٠ ، ١١ ٠

(١١٠) روح المعانى ١٧٦/٢٩ ٠

(١١١) شرح كلا ٤٤ ٠

**ملاحظـــــة :**

يحسن كل من مقامى التنبيه والاستفتاح والتحقيق لمـا بعدها فى المواضع الآتية :

١ ــ موضـــع فى ســـورة المدثـــر قـــوله تعـــالى : « كـــلا والقمر »(١١٢) ٠

« كلا » تنبيه الى دلالة القسم أى : ألا والقمر أو تحقيق لما بعدها أى : حقا ما أقول والقمر والقسم « والقمر والليل إذ أدبر والصبح إذا أسفر » وجواب القسم : « إنها لإحدى الكبر » والمعنى : إن سقر لهى احـــدى الدواهى الكبر فبلاؤهم غيـــر محصور فيها وتحـــل بهم بلايا غيـــر متناهية ٠٠٠ وفى ذلك تأكيدا لما سبق من وصف سقر وبيان حال عدتها (١١٣) ٠

وأجاز النضر بن شميل والفراء ومن وافقهما أن « كلا » عند الابتداء بها تكون صلة للقسم الذى بعدها كما فى هذه الآية فهى حرف جواب بمنزلة « إى » و « نعم » فمعنى قوله : كلا والقمر : أى والقمر ٠

يوضح ذلك العلامة الدسوقى بقوله عن « كلا » فى الآية . « فهى جـــواب تصديق لقوله : ( وما يعلم جنـــود ربك إلا هو وما هى إلا ذكرى للبشر ) وأما قوله : ( والقمر والليل إذ أدبر) فهو قسم مستأنف »(١١٤) ٠

---

(١١٢) الآية ٢٢ ٠
(١١٣) روح المعانى ٢٩/١٦٣ ، ١٦٤ ٠
(١١٤) مغنى اللبيب بحاشية الدسوقى ١/٢٠١ ٠

٢ ـ موضع فى سورة عبس قوله تعالى : « كلا لما يقض ما آمره »(١١٥) ٠

« كلا » تنبيه الى ما يأتى بعدها أو تحقيقه والمعنى : لم يقض الانسان من أول زمان تكليفه الى زمان اماتته وإقباره مع طول المدى وامتداده جميع ما أمره فلم يخرج من جميع أوامره تعالى إذ لا يخلو أحد من تقصيرها أو أن المراد بالانسان :الكافر ويكون المعنى : لما يقض جميع أفراد الانسان ما آمره بل أخل بعضها بالكفر والعصيان مع أن مقتضى مافصل من فنون النعماء الشاملة للكل أن لا يختلف عنه أحد ٠

والتقدير : حقا لم يعمل بما آمر ه به ويقرر الألوسى أن هذا هو الظاهر ٠

والتعبير بحرف النفى « لما » للدلالة على أنه مستمر على عدم قضاء ما أمره الله تعالى مما دعاه اليه وفى لفظ القضاء ما يدل على فعل ما يجب على الانسان كاملا ٠٠(١١٦) ٠

٣ ـ موضع فى سورة عبس قوله تعالى : « إذا دكت الأرض دكا دكا » ٠

« كلا » تنبيه الى ما يستأنف معها من كلام أو تحقيق له فهى جزء من الاستئناف وتمهيد له ٠ فبعد أن هدد الله هؤلاء المكذبين بعذاب الدنيا فى الآيات السابقة انتقل الى التهديد بعذاب الآخرة فقال تعالى : « إذا دكت الأرض دكا دكا » مبينا ما يحدث عند النفخة الثانية إنذارا لهم بأنهم يحين لهم يوم يفيقون فيه من غفلتهم حين لا تنفع الإفاقة ٠

---

(١١٥) الآيتان : ٢٢ ٠

(١١٦) روح المعانى ٣٠/٥٧ ، والتحرير والتنوير ٣٠/١٢٦ ـ ١٢٨ ٠

والمراد من معنى الدك تحطيم الكرة الأرضية وتفرقها وفساد ما هى عليه الآية بما يحدثه الله تعالى فيها من زلازل حتى تصير هباء أو تسوى فلم يبق على وجهها شيء كالصخرة الملساء . وتكرير « دكا » إما على إعتبار « دكا » الأولى مفعول مطلق مؤكد لفعله لفرض رفع إحتمال المجاز عن « دكت » أى : هو دك حقيقى والثانية توكيد لفظى للأولى لزيادة إرادة تحقيق مدلول الدك الحقيقى لأنه دك عظيم وعجيب فلغرابته اقتضى إثباته زيادة تحقيق لمعناه الحقيقى .

وإما التكرير لفرض الاستيعاب بأن يكون مجموع المصدرين فى تأويل مفرد منصوب على المفعول المطلق والتقدير. دكت الأرض دكا يعقب بعضه بعضا مثل قولك : قرأت الكتاب بابا بابا ... يقول الطاهر بن عاشور : « وهذا الوجه أوفى بحق البلاغة فإنه معنى زائد على التوكيد والتوكيد حاصل بالمصدر الأول » ولذا أخذ به جمهور المفسرين . وقوله تعالى : « كلا إذا دكت الأرض دكا دكا وجاء ربك والملك صفا صفا وجيء يومئذ بجهنم » توطئة وتشويق الى المقصود من الكلام وهو قوله تعالى : « فيومئذ لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد يا أيتها النفس المطمئنة ... » تهويلا لشأن ذلك اليوم الذى عرف بعلامات حلوله وبما يقع فيه من أهوال ...(١١٧).

٤ ــ موضع فى سورة التكاثر وهو قوله تعالى : « كلا لو تعلمون علم اليقين »(١١٨) .

« كلا » تأتى فى السورة للمرة الثالثة وفائدتها تنبيه الى

---

(١١٧) روح المعانى ٣٠/١٦٢ ، ١٦٣ ، والتحرير والتنوير ٣٠/٣٢٥، ٣٢٦ ، وارشاد العقل السليم ٥/٨٧٠ ، ٨٧١ .
(١١٨) الآيتان ٥ ، ٦ .

ما يأتى بعدها أو تحقيق له فهى جزء من كلام مستأنف وتوطئة له . وجـواب « لو » محذوف تقديره : ما اشتغلتم بالتفاخر أو لرجعتم عن الكفر . أو فعلتم ما لا يوصف . وغرض حذف جـواب « لو » افادة التهويل ولتذهب النفس فى تقديره كل مذهب ممكن . وزمن المضارع فى قوله « لو تعلمون » مرادا به الحال والمعنى : لو علمتم علم اليقين لعلمتم أمرا عظيما .

وإضافة « علم » الى اليقين : إما من اضافة الموصوف الى صفته أى العلم اليقين وبناء على أن العلم قد يطلق على غيـر اليقين وإما أن الاضافة بيانية لأن اليقين علم أى : لو علمتم علما مطابقا للواقع لبان لكم شنيع فعلكم ...

وإما أنه من اضافة المصـدر الى مفعوله واليقين بمعنى المتيقن صفة لمقدر أى : لو تعلمون علم الأمر المتيقن .. وعلم اليقين وهو مركب إضافى نقل فى الاصطلاح العلمى فصار لقبا على حالة من مدركات العقل .

والخطاب للمشركين الذين لا يؤمنون بيوم الجزاء وليس خطـابا للمسلمين لأنهـم يعلمون ذلك علم اليقين وبذلك تجد « كلا » تنبه الى ما أفادته الجملة الشرطية من معان أو حقيقتها وهذا فيه مزيد حث على التدبر ومقارنة حال الدنيـا بحـال الآخرة ..(١١٩) .

---

(١١٦) ارشاد العقل السليم ٥/٩٠٠ ، والتحرير والتنوير ٣٠/٥٢١، ٥٢٢ ، وروح المعانى ٣٠/٢٨٧ وتفسير جزء عم للامام محمد عبده ٢٢٢ .

**تنبيـــه :**

فى مقامى التنبيه والاستفتاح والتحقيق لا يوجد قبـل « كلا » ما يوجب الردع والزجر والرد لأنه إما حكاية عن الله أو إخبار منه تعالى والردع والزجر والرد ينافى ذلك .

ومن رأى أن « كلا » تفيـد الردع فى كل مواضعها فقـد التمس له معنى قبلها يردع عليه ويزجر عنـه ويـرد بالنفى المضمنى مستعينا فى ذلك بدلالة السياق وقرائن الأحـوال ومعونة المقامات وهذا ما تجده عند غالبية المفسرين ...

**المقام الرابع : مقام التابع :**

آتت « كلا » فى جملة تابعة لما قبلها مقترنة بحرف العطف « ثم » فى موضعين :

الموضع الأول قوله تعالى فى سـورة النبـأ : « ثم كلا سيعلمون »(١٢٠) .

والموضع الثانى قوله تعالى فى سورة التكاثر : « ثم كلا سوف تعلمون »(١٢١) .

فجملة سـورة النبـأ مطوفة على قـوله تعـالى : « كلا سيعلمون ) وجملة سورة التكاثر معطوفة على قوله تعالى : « كلا سوف تعلمون » فأنت ترى أن الجملتين فى كلا الموضعين مكررتان بلا زيادة فى إحداهما وهذا يخالف مقتضى العطف من التغاير بين المتعاطفين ولتوجيه ذلك قيلت آراء أهمها مايلى:

---

(١٢٠) الآية ٥ .
(١٢١) الآية ٤ .

١ ـ إن هذا من باب التوكيد اللفظى و « ثم » هنا أفادت العطف الصورى أى : فى صورة العاطف وشكله الظاهر دون حقيقته ولكن « ثم » تفيد هنا الترتيب الرتبى وهو : أن يكون مدلول التى بعدها أرقى رتبة فى الغرض من مضمون الجملة الأولى فكأنه قيل لهم يوم القيامة عذاب شديد بل لهم يومئذ عذاب أشد وبهذا الاعتبار صار كأنه مغاير لما قبله فعطف عليه . « ومعنى ارتقاء الرتبة أن مضمون ما بعد ( ثم ) أقوى من مضمون الجملة التى قبل ( ثم ) وهذا المضمون هو الوعيد فلما استفيد تحقيق وقوع المتوعد به بما أفاده التوكيد اللفظى إذ الجملة التى بعد (ثم) أكدت الجملة التى قبلها تعين انصراف معنى ارتقاء رتبة معنى الجملة الثانية هو أن المتوعد به فى الثانى أعظم مما يحسبون »(١٢٢) .

٢ ـ إن « ثم » على بابها والمراد التراخى الزمانى وذلك لاختلاف الأزمنة فى كل جملة فالجملة الأولى اشارة الى ما يقال عن النزع وخروج الروح والجملة الثانية اشارة الى ما يقال يوم القيامة من زجر ملائكة العذاب .

٣ ـ اختلاف متعلق العلم فى كل من الجملتين أى تجعل كل جملة مرادا بها تهديد بشىء خاص وهذا من مستتبعات التراكيب والتعويل على معونة القرائن بتقدير مفعول خاص لكل من فعلى « تعلمون » ...

٤ ـ إختلاف فاعل « تعلمون » فى كل من الجملتين بناء على أن ضمير « يتساءلون » للناس عامة كأن يكون المعنى سيعلم المؤمنون عاقبة تصديقهم ثم سيعلم الكفار عاقبة تكذيبهم

---

(١٢٢) التحرير والتنوير ٣٠/٥ .

فالأول وعد للمؤمنين والثانى وعيد للكافرين وهما متفاوتان رتبة فـ « ثم » على بابها (١٢٣) .

وأيا ما كان الأمر فمفاد التكرير حاصل على كل حال . وبقية الحديث عن نظم الجملة يغنى عنـه ما قيـل فى قوله تعالى : « كلا سيعلمون » (١٢٤) .

وبذلك نجد الأسلوب القرآنى لكلا يخدم الغرض العام لكل من سورتى النبأ والتكاثر ...

---

(١٢٣) روح المعانى ٣٠/٥ ، ٦ ، ٢٨٧ ، والتحرير والتنوير ٣٠/١٢ ، ٥٢١ ، وارشاد العقل السليم ٥/٨١١ ، ٨١٢ ، ٩٠٠ وتفسير سورة النبأ للشيخ محمـد متولى الشعراوى ٢٠ ـ ٢٤ دار المسلم ط ١٩٨٠م او شرح التصريح على التوضيح ٢/١٢٧ .

(١٢٤) انظر ص ٦٧ ، ٦٨ .

**تعقيب :**

فهذه رحلة سريعة مع « كلا » ومقاماتها القرآنية وجدنا فيها أن «كلا» تلعب دورا أساسيا فى هذه المقامات وتعد واسطة العقد وقطب الرحى فى كل موضع جاءت فيه حيث أبرزت المعنى وصححت الأفهام وأزالت الشك وردعت المنكرين وردت عليهم افتراءاتهم وأثبتت الحقائق التى لا يمارى فيها إلا جاهل أو معاند فـ « كلا » فى الردع أقوى دلالة وأعمق اثرا وفى التنبيه لفت نظر وتوجيه وتهيئة نفس . وفى التحقيق تأكيد للقضايا التى تعقبها فترفع عنها إحتمال التجوز وتثبت أنها نص فيما قصد منها وتزيل عنها الشك وتثبت أنها يقين .

فهى أداة تناسبت المقامات التى جاءت فيها واقتضاها أحوال المخاطبين فما جاءت « كلا » إلا فى الآيات القرآنية التى نزلت فى العهد المكى فكانت من خصائص القرآن فى ذلك العهد مما يدل على مطابقة الكلام لمقتضى الحال فهذه المطابقة هى عين البلاغة وتمام الفصاحة . فخاطب القوم بألفاظ قوية تقرع أسماعهم وتدحض أكاذيبهم وتملأ آذانهم بالحقائق التى لا يقدرون على سماعها أو الوقوف أمامها إلا وقوف الخائف الوجل المترقب . وما كان عنادهم إلا غطاء هشا لما انطوت قلوبهم من حقد دفين وعداء مستحكم طمسها وأعماها وأضلها (١٢٥) .

وأساليب « كلا » تحمل الإيجاز بنوعيه : فهاهى كلمة « كلا » تحمل معانى كثيرة وتثير دلالات متنوعة والعلماء يختلفون فى دلالتها كل له تأويله الخاص واعتباره المعين والجميع

---

(١٢٥) انظر خصائص المكى الاتقان ١/١٨ ـ ٧٠ ، والبرهان للزركشى ١/١٨٨ ـ ١٩١ .

عنى صـواب وله جهتـه الصحيحة . وهـذا هو طبيعة اللفظ القرآنى الذى هى عطاء من عطاءات الله تعالى لا نهاية لها . وتجد ألوانا من الايجاز بالحذف فى أساليبها مما يشوق الى المراد ويزيد المعانى قوة ونباتا ويحيطها بالتفخيم والتهويل .. يقول الامام عبد القاهر عن الحذف : « هو باب دقيق المسلك لطيف المأخذ عجيب الأمر شبيه بالسـحر فانك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر والصمت عن الافادة أزيد للافادة وتجدك أنطـق ما تـكون إذا لم تنطـق وأتم ما تكون بيـانا إذا لم تبن »(١٢٦) .

وإذا لا يقدر على تأمل المحذوف « إلا من رست قدمه فى علم البيان وصار له خليفتة وملكة (١٢٧) . يقول الثعالبى : « من اراد أن يعرف جـوامع الكلم ويتنبـه على فضـل الاعجـاز والاختصار ويحيط ببلاغة الايماء ويفطن لكفاية الايجاز فليتدبر القرآن وليتأمل علوه على سـائر الكلام » (١٢٨) وبذلك عـد الايجاز وجها من وجوه الاعجاز (١٢٩) .

وتجد التعاون بين أجزاء النظم ويتمثل ذلك فى أدوات التوكيد وكأنها أسلحة يواجه بها الانكار وتقرر بها الحقائق وينبه إليهـا الغافلين ردعا لأولئك المعاندين وردا عليهم وفى ذلك قوة التحدى والتسجيل عليهم ما هم فيه من خطأ ليتضح عنادهم وينكشف زيفهم أملا فى أن يرجعوا عن غيهم . وفى

---

(١٢٦) دلائل لااعجاز تعليق الشيخ محمود شاكر ١٤٦ وانظر نهاية الايجاز فى دراية الاعجاز للفخر الرازى تحقيق د. أحمد حجازى السقا . ٢٣٨ ـ ٢٤٨ المكتب الثقافى ط أولى ١٩٨٩م .

(١٢٧) المثل السائر لابن الأثير ١٩٤ المطبعة البهية سنة ١٣١٢هـ .

(١٢٨) الاعجاز والايجاز للثعالبى ١٠ دار صعب ـ بيروت .

(١٢٩) أعجاز القرآن للباقلانى ٧٨ مصطفى البابى الجلبى ط أولى سنة ١٩٧٨م .

التأكيد دلالة على تعظيم الأمر المؤكد وتوطئة النفس على قبوله فنجد نون التوكيد المشددة التى تعد بمنزلة تكرير الفعل ثلاث مرات فهى لتأكيد الفعل فى مقابلة تأكيد الاسم بان واللام (١٣٠) ٠

والسين وسوف وهما حرفا التنفيس يختصان بالمضارع وبخلصانه للاستقبال وعند الزمخشرى أن السين إذا دخلت على فعل محبوب أو مكروه أفادت أنه واقع لا محالة وذلك لتكرار الوعد مرة بالسين ومرة بالفعل (١٣١) و « بل » بافادتها الاضراب بنوعيه : الانتقالى والابطالى ٠ تستعمل فى القرآن لترك شىء من الكلام والأخذ فى غيره وتنتقل من غرض الى غرض آخر مرتبط به فهى طرقة تنبه الناس الى ما بعدها وتصحح المفاهيم وهى تفيد النفى الضمنى الذى هو آكد من النفى الصريح (١٣٢) ٠

والقسم الذى هو من أهم عناصر التوكيد وذلك لتأكيد الخبر فى نفس المخاطب وازالة الشك ومواجهة الانكار ورفض المشركين وعنادهم على عادة العرب فى توكيد أمورهم ويقسم ربنا ليقيم الحجة كاملة على المنكرين إثارة لعواطفهم وتحريكا لمشاعرهم وردا على الأسلوب الانفعالى العصبى فى تعاملهم مع النبى صلى الله عليه وسلم فى العهد المكى (١٣٣) ٠

ويقسم الله تعالى ببعض مخلوقاته كالقمر فى أساليب « كلا » لينبه المخاطبين الى شرف المقسم به ومالهم فيه من

---

(١٣٠) البرهان للزركشى ٤١٩/٢ ، والمغنى مع حاشية الدسوقى ٢/٢ ٠
(١٣١) الكشاف ٣١٥/١ ٠
(١٣٢) أساليب النفى فى القرآن ١٤٦ ـ ١٥٢ ٠
(١٣٣) دراسات فى القرآن والحديث د٠ يوسف خليف ٩٥٠

ضروب النفع وأنه آية من آيات الله يجب الشكر عليها (١٣٤) ٠

ولو الإمتناعيـــة فى قوله تعـالى : « كلا لو تعلمون علم اليقين » بما تفيده من امتناع الجواب لفقد السبب ولو وجد السبب لوجد الجواب وما تدل عليه من النفى الضمنى الأقوى فى التأكيد (١٣٥) ٠

و « لما » فى قوله تعالى : « كلا لما يقض ما امره » التى تدل على امتداد زمن النفى الى زمن التكلم ففيه تأكيد نفى الحدث.. الى غير ذلك من العناصر التوكيد الذى يحقق أغراضا بلاغية كثيرة كتقوية مضمون الـكلام لدى المخاطب والتنبيـــه على خطورته وإثارة انتباه السامع لما يوحى به من معـان ودفع الشك الموجود فعـلا أو دفع ما يوهم الشك والتردد ومواجهة إنكار المخاطبين بذكر أدوات التوكيد حسب انكارهم أو تنزيل غير المنكر منزلة المنكر لما يظهر عليه من علامات الانكار أوتنزيل خالى الذهن منزلة المتردد إذ اظهرت عليه أمارات التردد أو إيماء الى تكريـــم المخـــاطب أو لدفـــع مـــا قـــد يقصر العقـــل عـــن إدراكه(١٣٦) ٠

وبوجود أدوات التوكيد بهذه الصورة يتحقق ما يسمى بإتزان الجمل أى تعادل بناء الجمل فى سياق معنوى واحـــد فمثـــلا : « إذا كان الغرض المعنوى على جهـــة التأكيد تآلفت الجمل فى سياقه لتنال حظا متســـاويا أو متقاربا من الأخـــذ

---

(١٣٤) تفسير جزء عم للامام محمد عبده ٥٥ ، ٥٦ ٠
(١٣٥) أساليب النفى فى القرآن ١٩٥ ٠
(١٣٦) انظر التوكيد : البرهان للزركشى ٢/٣٨٤ ـ ٤٢٢ ـ شروح التلخيص ، وحاشية الدسوقى ١/٢٠٤ والبلاغة القرآنية فى تفسير الزمخشرى وأثرها فى الدراسات البلاغية د٠ محمد محمد أبو موسى ٣٤٥ دار الفكر العربى ٠

بأساليب التوكيد وأدواته » (١٣٧) ٠

وتجد الجملة المستأنفة التى تأتى بعد « كلا » معللة ومبينة لسبب الردع والرد أحيانا ولتقرير الحقائق أحيانا أخرى ٠ ومن هذه الجمل المستأنفة استئنافا بيانيا جمل مبدوءة بـ « إن » وهـذه الجمـل كثيرة فى القرآن الكريـم وتجد مـن خصائصها أن تربط ما بعـدها من كلام بما قبلها ويحصـل التآليف بينهما حتى كأن الكلامين قد أفرغا إفراغاً واحدا ولو أسقطتها كان الثانى نابيا عن الأول ٠ وفى ذلك تأكيد للأول وتقريره ٠ وأنها تكون فى الأمـر الذى يظن المخاطب خلاف ما يقصده المتكلم يقول الامام عبد القاهر : « وانما تحتاج إليها اذا كان له ظن فى الخلاف وعقـد قلب على نفى ما تثبت أو إثبات ما تنفى ولذلك تراها تزداد حسنا اذا كان الخبر بأمر يبعـد مثـله فى الظـن وشىء قـد جـرت عـادة النـاس بخلافه٠٠٠» (١٣٨) ٠

والاستئناف البيانى عموما بما يثير الكلام الأول مـن أسئلة يكون الكلام الثانى أجوبة عن تلك الأسئلة وكأنه يخرج خبايا المعارضين ويبرز ما فى قلوبهم من شكوك ٠ فهو تعليل ينبىء عنـه ما قبله ففيه اتصـال داخلى بين أجـزاء الكلام وانسجام بين المعانى يستدعى بعضها بعضـا « فان المعانى تتواصل من طريق أن الأولى تتولد منها الثانية وكأنهـا أصل

---

(١٣٧) اساليب التوكيد من خلال القرآن الكريم د٠ أحمـد مختـار الجزء ١٤٤ ـ مؤسسة علوم القرآن دمشق ـ بيروت ط أولى سنة ١٩٨٥م٠

(١٣٨) دلائل الاعجاز تعليق الشيخ محمود شاكر ٣١٥ ـ ٣٢٨ ، ونهاية الايجاز ٢٤٨ ـ ٢٥٥ ، والبرهان للزركشى ٢/ ٤٠٥ ـ ٤٠٩ ٠

بنبثق عنه فرع »(١٣٩ وبذلك لا يدع مجالا لشك آو تردد متردد (١٤٠) ٠

و « كلا » عندما تفيد الردع والرد يأتى الاستئناف تعليلا لها وعندما يراد بها التنبيه أو التحقيق فهى تنبه على ما يتضمنه الاستئناف بعدها آو تحققه ٠

وبعد : فهذا ما وسعه المقام وسمحت به مساحة هذا المقال مأرجو من الله تعالى آن آكون قد وفقت ٠

والحمد لله الذى به تتم الصالحات وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين ٠

---

(١٣٩) دلالات التراكيب د٠ محمد محمد أبو موسى ٣٠٨ ، ٣٠٩ ط ثانية ١٩٨٧م ٠

(١٤٠) انظر : شروح التلخيص ٣/٥٢ ـ ٥٣ ودلائل الاعجاز ٢٣٥ ـ ٢٤٢ والفصل والوصل فى القرآن الكريم د٠ منير سلطان ط دار المعارف سنة ١٩٨٣م ٠

# آهـم المراجـــع


١ ـ الاتقـــان فى علوم القرآن للسيوطى تحقيق محمـــد أبى الفضل ابراهيم ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤م٠

٢ ـ الأدوات المفيدة للتنبيه فى كلام العرب د٠ فتح الله صالح المصرى ٠ دار الوفاء للطباعة بالمنصورة ط أولى ١٩٨٧م ٠

٣ ـ إرشـــاد العقـــل السليم الى مزايا الكتاب الكريم لأبى السعود ـ دار الفكر ٠

٤ ـ أساليب التوكيد من خلال القرآن الكريم د٠ أحمد مختار البرزة ـ مؤسسة علوم القرآن دمشق ـ بيروت ط أولى ١٩٨٥م ٠

٥ ـ أساليب النفى فى القرآن د٠ أحمد ماهر البقرى ـ دار المعارف ط ثانية ١٩٨٥م ٠

٦ ـ أسباب النزول لآيات من القـــرآن للسيوطى كتاب الجمهورية ٠

٧ ـ أضـــواء البيان فى ايضـــاح القرآن بالقرآن محمد أمين الجنكى الشنقيطى ط ١٩٦٧م ٠

٨ ـ إعجـــاز القرآن لأبى بكر الباقـــلانى ـ مصطفى البابى الحلبى ط أولى ١٩٧٨م ٠

٩ ـ الاعجاز والايجاز للثعالبى ـ دار صعب ـ بيروت ٠

١٠ ـ الأنموذج فى النحو للزمخشرى بشرح الأردبيلى تحقيق د٠ حسنى عبد الجليل يوسف ـ مكتبة الآداب ١٩٩٠م٠

١١ ـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوى ـ دار الجيل

١٢ ـ البحر المحيط لأبى حيان الأندلسى ـ دار الفكر ط ثانية ١٩٨٣م ٠

١٣ ـ البرهان فى علوم القرآن للزركشى تحقيق محمد أبى الفضل ابراهيم ـ دار المعرفة ـ بيروت ط ثانية ١٩٧٢م٠

١٤ ـ البلاغة الصوتية فى القرآن الكريم د٠ محمد ابراهيم شادى ـ شركة الرسالة ط أولى ١٩٨٨م ٠

١٥ ـ البلاغة القرآنية فى تفسير الزمخشرى وأثرها فى الدراسات البلاغية أ٠د٠ محمد محمد أبو موسى ـ دار الفكر العربى ط ٠ ثانية ٠

١٦ ـ بلى مواقعها فى القرآن الكريم وخصائصها البلاغية د٠ رفعت السودانى ٠ مطبعة الأمانة ط أولى ١٩٩١م ٠

١٧ ـ التحرير والتنوير محمد الطاهر بن عاشور ـ الدار التنوسية للنشر ط ١٩٨٤م ٠

١٨ ـ التصريح على التوضيح للشيخ خالد الأزهرى ـ عيسى البابى الحلبى ٠

١٩ ـ تفسير جزء تبارك للشيخ عبد القادر المغربى ـ كتاب الشعب ١٩٥٧م ٠

٢٠ ـ تفسير جزء عم للامام محمد عبده كتاب الجمهورية ٠

٢١ ـ تفسير سورة النبأ للشيخ محمد متولى الشعراوى ـ دار المسلم ١٩٨٠م ٠

٢٢ ـ التفسير الكبير للفخر الرازى ـ دار الفكر ط ثالثة ١٩٨٥م ٠

٢٣ ـ جامع البيان للطبرى ـ دار الحديث ـ القاهرة ١٩٨٧م ٠

٢٤ ـ الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ط كتاب الشعب ٠

٢٥ ـ الجنى الدانى فى حروف المعانى للمرادى تحقيق د٠ فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل ـ دار الآفاق ـ بيروت ط ثانية ٠

٢٦ ـ دراسات فى القرآن والحديث د٠ يوسف خليف ٠

٢٧ ـ دلائل الاعجاز للامام عبد القاهر الجرجانى تعليق الشيخ محمود شاكر مكتبة الخانجى ـ القاهرة ٠

٢٨ ـ دلالات التراكيب أ٠د٠ محمد محمد أبو موسى مكتبة وهبة ط ثانية ١٩٨٧م ٠

٢٩ ـ رصف المبانى فى شرح حروف المعانى ٠ أحمد عبد النور المالقى ٠ تحقيق د٠ أحمد محمد الخراط ـ دار القلم ٠ دمشق ط ثانية ١٩٨٥م ٠

٣٠ ـ روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى للألوسى ـ دار الفكر ـ بيروت ١٩٨٣م ٠

٣١ ـ شرح الكافية للرضى ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ط ثالثة ١٩٨٢م ٠

٣٢ ـ شرح كلا وبلى ونعم والوقوف على كل منها فى كتاب الله عز وجل لمكى بن أبى طالب القيسى تحقيق د٠ أحمد حسن فرحات دار المأمون للتراث ـ دمشق ـ بيروت ط ٠ أولى ١٩٨٣م ٠

٣٣ ـ شرح المفصل لابن يعيش ـ عالم الكتب ـ بيروت ٠

٣٤ ـ شروح التلخيص السعد وآخرون ـ المطبعة الأميرية الكبرى ١٣١٧هـ ٠

٣٥ ـ غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابورى على هامش جامع البيان للطبرى دار الحديث ـ القاهرة ١٩٨٧م ٠

٣٦ ـ الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية ـ سليمان بن عمر العجيلى الشهير بالجمل ـ ط عيسى البابى الحلبى ٠

٣٧ ـ الفصل والوصل فى القرآن الكريم د٠ منير سلطان دار المعارف ١٩٨٣م ٠

٣٨ ـ الكتاب لسيبويه تحقيق عبد السلام محمد هارون ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧م ٠

٣٩ ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل للزمخشرى دار المعرفة ـ بيروت ٠

٤٠ ـ الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها لمكى بن أبى طالب القيسى تحقيق د. محيى الدين رمضان مؤسسة الرسالة ١٩٨٧م ط رابعة .

٤١ ـ لسان العرب لابن منظور ط دار المعارف .

٤٢ ـ المثل السائر لابن الأثير المطبعة البهية ١٣١٢هـ .

٤٣ ـ معانى الحروف للرمانى تحقيق د. عبد الفتاح اسماعيل شلبى ـ دار الشروق ـ جدة ط ثانية ١٩٨١م .

٤٤ ـ مغنى اللبيب لابن هشام على حاشية الدسوقى مطبعة المشهد الحسينى .

٤٥ ـ مقالة «كلا» وما جاء منها فى كتاب الله . لابن فارس تعليق عبد العزيز الميمنى الراجكوتى ـ ضمن مجموعة ـ المطبعة السلفية ط ١٣٨٧هـ .

٤٦ ـ المقتضب للمبرد تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ـ المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ١٣٨٦هـ .

٤٧ ـ من أسرار اللغة د. ابراهيم أنيس مكتبة الأنجلو المصرية ط سادسة ١٩٧٨م .

٤٨ ـ النحو الوافى عباس حسن ـ دار المعارف ط تاسعة .

٤٩ ـ نهاية الايجاز فى ورايه الاعجاز للفخر الرازى تحقيق د. أحمد حجازى السقا ـ المكتب الثقافى ـ القاهرة ط. أولى ١٩٨٩م .

**تم بحمد الله**